سورة الحشر دراسة موضوعية

إعداد
أ.د/ رشا بسيوني يوسف الدسوقي
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن الكريم
شعبة أصول الدين
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ
جامعة الأزهر - مصر

سورة الحشر دراسة موضوعية

رشا بسيوني يوسف الدسوقي

قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم، شعبة أصول الدين كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، جامعة الأزهر، مصر .

الايميل الجامعي: rashayousef.68@azhar.edu.egh

ملخص البحث :

سورة الحشر من السور المدنية التي ناقشت مجموعة مهمة من القضايا الملحة للمجتمع الإسلامي خاصة في واقعنا المعاصر ، والتي تؤدي إلى ضبط الحياة الاجتماعية والدينية ، والنهوض بالفرد والمجتمع وربط أواصره ، مما يؤدي إلى بث المزيد من الثقة والأمان بين الأفراد والجماعات، وكان من أهم هذه القضايا: تنزيه الله –تعالى– عما لا يليق به، وتقديسه بأسمائه وصفاته كما ينبغي لجلاله، مع التنبيه على مساوئ اليهود وسوء خلقهم ومخالفتهم المتكررة لأوامر الله – تعالى – وعصيانهم لرسله، وما فعله الله –تعالى بهم من إجلائهم وإخراجهم من ديارهم، وجعل مالهم حلالًا للمسلمين يقسَّم بينهم بوحي الله وأمره، والتنبيه على أن كل ما يفعله النبي –صلى الله عليه وسلم– إنما هو بأمر الله – تعالى – ومشيئته وليس من قبيل الرأي والتشهي ، مع التنبيه على فضل السابقين الأولين من المسلمين من المهاجرين والأنصار ومن جاء بعدهم وسار على دربهم، وفضل الترحم على الصحابة – رضوان الله –تعالى– عليهم وذكرهم بالخير ، وكذلك التحذير من الشيطان وطرقه، مع التذكير باليوم الآخر، وبيان أن أصحاب المعاصي والطاعات لا يستوون في الآخرة، فلكل منهم منزلة خاصة تليق به وبعمله ، وتوجيه العقل والنظر إلى أهمية تنزيه الله –تعالى– والتوجه إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى مع نبذ الفرقة والاختلاف ، وضرورة الاجتماع عل قلب رجل واحد مما يعلي من شأن الأمة في كل وقت وحين.

الكلمات المفتاحية: الحشر ، الفيء ، المنافقون، الشيطان، موضوعية .

Surah Al-Hashr: An Objective Study

Rasha Basyouni Youssef Al-Desouki

Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Department of Fundamentals of Religion, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Kafr El-Sheikh, Al-Azhar University, Egypt

Email : rashayousef.68@azhar.edu.egh University

Abstract :

Sur al-Hashr is one of the civil suras that discusses an important set of pressing issues for the Islamic community, especially in our contemporary reality, which lead to the regulation of social and religious life, the advancement of the individual and society, and the strengthening of bonds between them, thereby instilling greater trust and security among individuals and groups. Among the most important of these issues were: Exalting Allah, the Almighty, above anything that does not befit Him, and sanctifying Him with His names and attributes as befits His majesty, while warning against the evils of the Jews, their bad character, and their repeated disobedience of Allah's commands. , their disobedience to His messengers, and what Allah did to them by expelling them from their homes and making their wealth lawful for the Muslims to divide among themselves by Allah's revelation and command. It also highlighted that everything the Prophet (peace be upon him) did was by Allah's command and will, and not based on his own opinion or desire. with a reminder of the virtue of the first two generations of Muslims, the Muhajireen and the Ansar, and those who came after them and followed in their footsteps, and the virtue of praying for mercy for the Companions, may Allah be pleased with them, and mentioning them in a good light, as well as a warning against Satan and his ways, with a reminder of the Last Day, and an explanation that those who commit sins and those who obey Allah are not equal in the Hereafter, for each of them has a special status befitting him and his deeds, and directing the mind and gaze to the importance of purifying Allah, the Exalted, and turning to Him with His beautiful names and sublime attributes, while rejecting division and disagreement, and the necessity of unity with one heart, which elevates the status of the nation at all times.

Keywords : Al-Hashr **,** Al-Fay' **,** The Hypocrites **,** Satan **,** Objectivity **.**

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه واتبع نهجه بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعدُ :

فالقرآن الكريم كتاب الله – تعالى– الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنزله الله (تعالى) هدايةً للناس، ونبراسًا يخرجهم من الظلمات إلى النور، وأمرنا بتدبره والتفكر فيه، والعمل بما احتوى من هدايات وأحكام وحِكَم، وأخذ العبرة والعظة بما اشتمل من أمثال وقصص، فما من آية إلا جاءت لعبرة وعظة، وما من سورة إلا واشتملت على ما يهدي العقول، ويطمئن القلوب، فالقرآن اشتمل على ما يحير العقول، لا بما تُحِيلُه العقول؛ لذا تسابق العلماء قديمًا وحديثًا لدراسة القرآن الكريم، واستخراج أحكامه وحكمه بقدر طاقتهم البشرية، بما يجلي محاسنه، ويبرز أحكامه وحكمه، فالقرآن الكريم خير ما تصرف فيه الأعمار، فقد ضمَّنه الله – تعالى– من الأحكام والحكم ما فيه صلاح العباد والبلاد، وضمَّنه من القصص والأمثال ما فيه عبرة وعظة لأولي الألباب، كشف الله ــ تعالى ــ فيه الهدي الرباني الذي ينجِّي الناس من براثن الوثنية بأنواعها كافةً، في كل زمان ومكان بما في ذلك النفاق الاجتماعي، ونبذ الفُرْقة والاختلاف، والتنبيه على أهم الانحرافات الأخلاقية التي وقع فيها السابقون، وكيفية الاستفادة منها في معالجة ما يستجد في الأزمنة اللاحقة من قضايا ومشكلات مستحدثة في كل مجالات الحياة؛ مما يؤدي إلى ضبط الحياة الاجتماعية والأخلاقية بين أفراد المجتمع، ويزيد من ترابطه وتكاتفه، مع

التحذير وتشديد النكير على أهم الفئات التي تهدد أمن وسلامة المجتمع المسلم في كل زمان ومكان، وهم المنحرفون من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكذلك نَصَبَ الأدلة والبراهين على وحدانية الله –تعالى– وتنزيهه –سبحانه – عن كل ما لا يليق بذاته المقدسة، فأصَّل الله –تعالى– ضوابط حماية المجتمع من الانحرافات، والتنبيه على المنحرفين، ووضع الضوابط والقوانين التي يجب على أفراد المجتمع أن يلتزموا بها؛ لكي يعيشوا في آمن وسلام.

ولمَّا كنت بصدد اختيار دراسة تفسيرية موضوعية، فقد وفَّقني الله – تعالى – بحوله وقوته إلى اختيار سورة كريمة عظيمة الشأن هي سورة الحشر، التي جاءت لتقرير المبادئ السابقة وتأكيدها، ونبهت على خطر اليهود وشرهم، الذين فضحهم الله –تعالى – وألقى في نفوسهم المذلة وفي قلوبهم الخزي والعار؛ لمخالفتهم أوامر الله – تعالى – ومعصيتهم رسولَهُ – صلى الله عليه وسلم – لظنهم أنه لن يقدر عليهم أحد؛ فأخرجهم الله –تعالى– من بيوتهم، وبيَّن – سبحانه – لنبيِّه والمؤمنين حكم ما أخذ من أموالهم أو أموال غيرهم بغير حرب وهو الفيء الذي لم يذكر في سورة إلا في هذه السورة المباركة؛ لذا جاء اختياري لهذه السورة لأسباب كثيرة، منها:

أسباب اختيار الموضوع :

أولًا – توفيق الله – تعالى – لي في اختيار الموضوع، يقول – تعالى –: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾.(١)

ثانيًا – سورة الحشر من أهم السور القرآنية التي كشفت مساوئ

(١) سورة الأعراف: الآية رقم (٤٣).

فئتين من أخطر الفئات التي تهدد أمن وأمان المجتمع الإسلامي في كل زمان ومكان، وهما: أهل الكتاب من اليهود، والمنافقون.

ثالثًا – لم يذكر حكم الفيء مفصلًا، والفئات المستحقة له من أفراد المجتمع الإسلامي، على جهة التفصيل إلا في هذه السورة المباركة.

رابعًا – اشمال هذه السورة على جملة كثيرة من أسماء الله – عزَّ وجلَّ – الحسنى، لم تذكر في غيرها من سور القرآن الكريم بهذا الترتيب والتنسيق العجيب.

خامسًا – ما جاء فيها من أحكام وأوامر أدت إلى ضبط الحياة الاجتماعية والدينية، وربطت أواصر المجتمع الإيماني في ذلك الوقت، وزادت من تكاتفه وترابطه، وتمثَّل ذلك في وجوب طاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وعدم مخالفة أمره، وذكر بعض صفات المهاجرين والأنصار ومن جاء بعدهم من المسلمين ممن سار على نهجهم واتبع هديهم.

أهمية الموضوع :

أولًا - الحاجة المُلحة للمجتمع المعاصر إلى الرجوع إلى نبع الإسلام الصافي، والهدي الرباني؛ للأخذ بيده ومساعدته على النهوض مما وقع فيه من براثن الوثنية الحديثة، والنفاق الاجتماعي الذي مَلَأَ أرجاء الدنيا، بما استحدث من وسائل ساعدت في انتشاره، فتفاقمت الأضرار الناتجة عنه، فما أشبه اللاحق بالسابق.

ثانيًا –ـ الحاجة الماسة في عصرنا الحاضر للتنبيه على أهمية هذه القضايا المهمة، من نبذ الفُرْقة والاختلاف، ووجوب التمسك بالدين، واتباع أوامر الله – عزَّ وجلَّ – والسير على سُنَّة النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى أصول هذه القضايا في القرآن الكريم، واتباع سيرة خير المرسلين ونهجه.

ثالثًا –ـ الكشف عمَّا اشتملت عليه هذه السورة الكريمة من الإشارة إلى بعض الانحرافات الدينية والأخلاقية التي وقع فيها السابقون، وكيف

عالجها القرآن الكريم بأسلوبه الحكيم؛ لنتمكن من الاستفادة منها فيما استُجد من قضايا ومشكلات جرَّاء هذا الانفتاح المعلوماتي في كل مجالات الحياة.

رابعًا – لمَّا كان هذا العصر المتحضر المنفتح بلا رقابة، قد عاد به تحضره المزعوم إلى أخلاق الجاهلية الأولى، كان لزامًا علينا أن نرشده إلى شمس الوحي الإلهي حتى تستقيم حياته، ويُزال عن عينه غشاوة المعاصي المتسترة تحت غطاء الانفتاح الثقافي والحضاري، ونرشده بلين ورفق إلى الأخلاقيات التي تخلق بها السابقون من المهاجرين والأنصار؛ فاستحقوا ثناء الله عليهم، ورحمته بهم.

خامسًا – التنبيه على ما اشتملت عليه السورة المباركة من أحكام كونية وضعها الله – عزَّ وجلَّ – لأصحاب العقول والبصائر، ليصلوا بعقولهم إلى معرفة ربهم وتنزيهه، بعد أن أرسل لهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، فلا تبقى لهم حُجَّةٌ، ولا يستقيم لهم عُذْرٌ.

تساؤلات البحث :

١– ما أهم القضايا التي ناقشتها وعالجتها سورة الحشر؟

٢– كيف نظَّم الإسلام المجتمع الإيماني وربط أواصر المودة فيما بين أبنائه حتى صاروا كالبنيان المرصوص؟

٣– ما أهم السمات التي تميز بها السابقون من المهاجرين والأنصار والتي استحقوا بها ثناء الله – تعالى – عليهم ؟

٤– ما أهم الهدايات المستنبطة من هذه السورة المباركة ؟

الدراسات السابقة:

لقد أولى الباحثون سورة الحشر أهمية بالغة ، وتعددت جهات دراستهم لهذه السورة المباركة ، فجاءت أبحاثهم متعددة الغايات والأهداف، وتعلقت بالعديد من الجوانب منها: الجانب اللغوي ، والعقدي ،

والتفسيري ، والنفسي وغيرها ،وذلك لما اشتملت عليه آيات السورة المباركة من الكشف عن العديد من القضايا الشائكة ، ومعالجتها بصورة فريدة تعود على الفرد والمجتمع بالنفع والصلاح ، **من أهم هذه الدراسات :**

١- فضائل الصحابة في ضوء سورة الحشر ، للدكتور / سعد عبد المجيد المتولي – مجلة الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف/ جامعة الأزهر الشريف (٢٠١٦م).

وقد قام الباحث بدراسة تحليلية حول فضائل الصحابة وحقوقهم ، بما يستنبط من خلال آيات سورة الحشر.

٢- التفسير الموضوعي للقواعد والآثار الدعوية في ضوء دراسة سورة الحشر ، للدكتور /راشد سعد العليمي – جامعة الأزهر /مجلة الزهراء (٢٠١٨م).

وقد تناولت هذه الدراسة: استخراج اهم القواعد والآثار الدعوية والتربوية التي تضمنها سورة الحشر، وكيفية توظيفها والاستفادة منها في واقعنا المعاصر.

٣- الأسماء الحسنى الواردة في سورة الحشر، (دراسة عقدية تحليلية)، لـ ، غزوان صالح حسن ، جامعة كركوك – مجلة جامعة كركوكللدراسات الإنسانية – ديسمبر (٢٠٢٠م).

وقد قامت الباحثة في هذا البحث بتحليل أسماء الله –تعالى– الواردة في السورة المباركة من حيث اللغة والاصطلاح، وبيان ما دلت عليه هذه الأسماء من المضامين العقدية ،وبيان أثرها في إيمان العبد واعتقاده.

٤- التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الحشر (دراسة موضوعية تطبيقية) ، بحث ما جستير لـ / إيمان أنور

عرفات – الجامعة الإسلامية – غزة (٢٠٢١م).

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر الإيمان بألوهية الله –تعالى– في إصلاح النفس والمجتمع، مع بيان أهم الجوانب الإيمانية والنفسية والعقدية المستنبطة من سورة الحشر ، وكيفية تحصين النفوس من الأفكار المنحرفة والاعتقادات الضالة.

إضافتي في هذا البحث.

تناولت هذه الدراسة بعنوان: (سورة الحشر دراسة موضوعة) كل ما يتعلق بسورة الحشر فيما يخص التفسير الموضوعي ، فبينت أسماء السورة ومكيتها ومدنيتها ، وأهم المناسبات بين آياتها المباركة ، وكذلك علاقة السورة بما قبلها وما بعدها ، بما يجلي لنا جانبًا هامًا من جوانب إعجاز القرآن الكريم ، والوحدة الموضوعية لسوره ، مع التعرض لأهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة المباركة ، في عرض علمي محايد ، متبعة في ذلك المنهج الوصفي التحليلي الاستباطي ، وفق آليته المعتمدة، مع التعرض لأهم هدايات الله –تعالى– المستنبطة من السورة قدر طاقتي البشرية .

خطة البحث:

أما عن خطتي في البحث، فقد قسَّمتها إلى مقدمة، ومبحثين وخاتمة:

المقدمة: تحدثت فيها عن أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وخطة البحث، وطريقتي فيه.

أما المبحث الأول: فجعلته بين يدي السورة الكريمة، وقسَّمته إلى مطلبَيْن:

المطلب الأول: عرَّفت فيه بسورة الحشر من حيث: (اسم السورة الكريمة، وسبب هذه التسمية، وعدد آيات السورة الكريمة، ومكية السورة الكريمة ومدنيتها، وترتيب هذه السورة الكريمة، وما ورد في فضلها من أحاديث).

المطلب الثاني: ذكرت فيه المناسبات في سورة الحشر، ومحورها، ومقصود السورة، وأهم موضوعاتها، وشملت:

- مناسبة افتتاحية سورة الحشر لختام ما قبلها سورة المجادلة.
- مناسبة افتتاحية سورة الحشر لخاتمتها.
- مناسبة خاتمة سورة الحشر لافتتاحية سورة الممتحنة.
- مناسبة مضمون سورة الحشر لمضمون سورة الممتحنة.
- محور سورة الحشر.
- مقصود السورة وأهم موضوعاتها.

أما المبحث الثاني: الدراسة الموضوعية لسورة الحشر.

أما الخاتمة: فذكرت فيها أهم نتائج البحث.

وآخرًا: الفهارس، وهي كالتالي:

فهرس المصادر والمراجع. فهرس الموضوعات.

طريقتي في البحث:

أولًا – ما يخص العرض الموضوعي لآيات سورة الحشر، فهو كالتالي:

- قسَّمت آيات السورة الكريمة إلى مقاطع، يندرج تحت كل مقطع مجموعة من الآيات متحدة الموضوع.
- عنونت لكل مجموعة من الآيات بعنوان مناسب.
- كتبت الآيات بالرسم العثماني مرقومة بأرقامها.
- ذكرت مناسبة الآية، أو الآيات لما قبلها.
- أدرجت سبب النزول إذا كان هناك سبب لنزولها.
- ذكرت التفسير الإجمالي للآيات.
- ذيلت كل مقطع ببعض الهدايات القرآنية المستنبطة من الآيات.

أما بالنسبة للبحث بصفة عامة، فكان البحث فيه كالتالي:

(١) عزو الآيات القرآنية الواردة في البحث، مع كتابة اسم السورة،

ورقم الآية في الهامش.

(٢) تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مظانها، فإن كانت في الصحيحين، أو في أحدهما اكتفيت به، وإذا كانت في غيرهما قفيت بذكر درجته.

(٣) تخريج الآثار الواردة في البحث من كتب الآثار المعتمدة.

(٤) إذا ذكرت في معنى الآيات أكثر من رأي، أنسب كل قول إلى قائله ما أمكن ، مع الجمع ، أوالترجيح بين الأقوال الواردة فيها.

(٥) عدم التعرض لترجمة الأعلام الواردة في البحث.

(٦) الاكتفاء بذكر اسم المرجع ومؤلفه في الهامش؛ حتى لا أثقله بكثرة بياناته، وإرجاء عرض بياناته كاملة من التحقيق، ودار النشر، والطبعة في ثبت المصادر والمراجع.

المنهج المتبع في البحث : المنهج الوصفي التحليلي، الاستنباطي ، حيث قمت بتقسم السورة المباركة إلى موضوعات رئيسية ، ثم دراستها بأسلوب متعمق يهدف على فهما وتفسيرها من خلال منهجية علمية ، واستنباط نتائج دقيقة تفصيلية من خلال آيات السورة المباركة ، وكيفية الاستفادة من هذه النتائج في حل المشكلات التي تواجه الفرد والمجتمع في حياتنا المعاصرة.

المبحث الأول

بين يدي السورة، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بسورة الحشر، ويشمل:

- أسماءها.
- سبب نزولها.
- عدد آياتها.
- ما ورد في فضلها من أحاديث.
- ترتيبها المصحفي والنزولي.
- مكيتها ومدنيتها.

المطلب الثاني: ذكرت فيه المناسبات في سورة الحشر، ومحورها، وأهم مقاصدها، ويشمل:

- مناسبة افتتاحية سورة الحشر لختام ما قبلها سورة المجادلة.
- مناسبة افتتاحية سورة الحشر لخاتمها.
- مناسبة افتتاحية سورة الحشر لافتتاحية سورة الممتحنة.
- مناسبة مضمون سورة الحشر لمضمون سورة الممتحنة.
- محور سورة الحشر.
- مقصود السورة وأهم موضوعاتها.

المطلب الأول

(أسماؤها – نزولها – عدد آياتها – مكيتها ومدنيتها – ما ورد في فضلها)

أولًا ـــ أسماؤها :

لسورة الحشر اسمان:

الأول ـــ سورة الحشر: هو الاسم الذي عنونت به في المصحف، واشتهر بين المفسرين.

سبب تسميتها بهذا الاسم: لورود لفظ ﴿ ٱلۡحَشۡرِۚ﴾ **في قول الله – سبحانه وتعالى –:** ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ﴾[١]، وقيل: سميت به؛ لدلالة إخراج اليهود عنده، على لطف الله وعنايته برسوله وبالمؤمنين، وقهره وغضبه على أعدائهم. وهو من أعظم مقاصد القرآن.[٢]

فالله – سبحانه وتعالى – حشر اليهود من بني النضير بقدرته من المدينة المنورة إلى خيبر والشام والحيرة، ثم حشرهم وغيرهم من اليهود الحشر الثاني من خيبر إلى الشام الذي هو آية الحشر الأعظم إلى أرض الحشر.[٣]

الآخر ـــ سورة بني النضير، وثبتت هذه التسمية عن ابن عباس – رضي الله عنهما –.[٤]

---

(١) سورة الحشر، الآية رقم (٢).

(٢) ينظر: تفسير محاسن التأويل، للقاسمي (١٨٢/٩).

(٣) ينظر: تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام البقاعي (٤٠٢/١٩) بتصرف يسير.

(٤) ينظر تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣٩٧/٤)، وروائع التفسير، لابن رجب الحنبلي (٣٩/١)، وتفسير الجواهر الحسان للثعلبي (٤٠٦/٥)، والمحرر في علوم القرآن (١٧٠/١).

وسبب تسميتها بهذا الاسم أنها نزلت في قضية إجلاء بني النضير وإخراجهم من المدينة إلى الشام، فقد أخرج الإمام البخاري عن ابن جبير قال: "قلت لابن عباس سورة الحشر"، قال: "قل: سورة بني النضير".(١)

والحكمة في كراهة تسميتها بسورة الحشر في قول ابن عباس؛ لئلا يُظَنَّ أن المراد بالحشر: يوم القيامة، وإنما المراد: إخراج بني النضير.(٢)

ثانيًا – سبب نزولها :

نزلت سورة الحشر في قصة إجلاء بني النضير من المدينة إلى الشام، فقد أخرج الحاكم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: " كانت غزوة بني النضير (وهم طائفة من اليهود) على رأس ستة أشهر من غزوة بدر، وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة – يعني السلاح – فأنزل الله فيهم: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ إلى قوله: ﴿ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ ﴾(٣) فقاتلهم النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى صالحهم على الجلاء، فأخلاهم إلى الشام، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا، وكان الله (سبحانه وتعالى) قد كتب عليهم ذلك، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأما قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ لِأَوَّلِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب – تفسير القرآن – بَابُ حديث بني النّضيرِ، ومَخرجَ رَسْول اللهِ، صلى الله عليه وسلم إليهم في دية الرجلين، وما أرادوا من العذر برسول الله صلى الله عليه وسلم – حديث رقم (٤٠٢٩) (٨٨/٥).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب: (قوله باب قوله ما قطعتم من لينة نخلة) (٦٢٩/٨)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١٩٥/١).

(٣) سورة الحشر، الآية رقم (٢).

﴿ٱلْحَشْرِ﴾، فكان ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام.(١)

وروي عن سعيد بن جبير، قال: قُلتُ لابن عباس: سُورةُ التّوبة، قالَ: "التّوبةُ هِيَ الفَاضِحةُ، ما زَالَتْ تَنْزِلُ، وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ، حَتّى ظَنَوا أَنّهَا لَنْ تُبقيّ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلّا ذُكِرَ فيهَا"، قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الأَنْفَال، قَالَ: "نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ"، قالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الحَشْرِ، قَالَ: "نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ".(٢)

وقصة إجلائهم كما ذكرها المفسرون:

أن اليهود كانوا عاقدوا النبي – صلى الله عليه وسلم – وعاهدوه على المصالحة والمهادنة، وتصالحوا على ألا يقاتلوا معه ولا يقاتلوه، ولكن كعادتهم المتأصلة في نفوسهم المجبولة على نقض العهد ومقاتلة الأنبياء، لم يستطيعوا الوفاء بما عاهدوا عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فنقضوا العهد، وكان هذا الأمر في السنة الرابعة من الهجرة، فحاصرهم النبي – صلى الله عليه وسلم، وأمرهم بالخروج من المدينة، فأخرجهم من حصونهم المنيعة التي ظنوا أنها تمنعهم من الله – عزَّ وجلَّ – ومن النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، فأذلهم الله – عزَّ وجلَّ –، وأذاقهم الخزي والعار في الدنيا والآخرة.

قال الضحاك: أعطي كل ثلاثة نفر بعيرًا ووسقًا من طعام، ففعلوا وخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعات وأريحا، إلا أهل بيتين منهم:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب: التفسير ، باب: تفسير سورة الحشر ، حديث رقم (٣٧٩٧) (٥٢٥/٢) ،وقال:" «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» [التعليق – من تلخيص الذهبي] ٣٧٩٧ – على شرط البخاري ومسلم الصحيح ، وينظر: المسند من أسباب النزول، لمقبل بن هادي بن مقبل الهمداني (٢٠٦/١)، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (١٩١/١)، وأسباب النزول، للواحدي (٢٧٨/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب – تفسير القرآن – باب – حديث رقم (٤٨٨٢) (١٤٧/٦)

آل أبي الحقيق، وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة منهم بالحيرة.(١)

ثالثًا – ما ورد في فضلها :

ورد في فضل سورة الحشر منفردة ومجتمعة مع غيرها من المسبحات الكثير من الأحاديث، لكنها لا ترتقي لدرجة الصحة أو الحُسن، وإنما جميعها ضعيف (موضوع ومنكر)، نذكر بعضها فقط للتنبيه على وضعها، والتأكيد على أنه لم يصح في فضل سورة الحشر حديث صحيح عن النبي –ـ صلى الله عليه وسلم – ، وجُلْ ما ذكره المفسرون من أحاديث في فضلها، وما فرقوه في تفاسيرهم عند بداية تفسيرهم لسورة الحشر أو في ختامها، إنما هي أحاديث منكرة، إلا ما جاء في فضلها مجتمعة مع المفصل فهو حديث حسن.

من هذه الروايات:

(١) ما ورد في فضلها مجتمعة مع المفصل :

عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، أَنّ النّبِيَّ –ـ صلى الله عليه وسلم –ـ ، قَالَ: "أُعطِيتُ مَكَانَ التّوْرَاةِ السّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزّبُورِ الْمَئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وفُضّلْتُ بِالْمُفَصّلِ".(٢)

(٢) ما ورد في فضلها مجتمعة من المسبحات :

عن عرباضِ بنِ سارِية: أن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – " كان يقرأ المُسبّحاتِ قبل أن يَرقُدَ، وقال: "إنَّ فيهنَّ آيةً أفْضَلَ مِن ألفِ

(١) ينظر تفسير البغوي، (٥٢/٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده – مسند: وائلة بن الأسقع – حديث رقم (١٦٩٨٢) (١٨٨/٢٨) إسناده حسن، عمران بن القطّان – وهو ابن داوَر – حسن الحديث، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير أبي داود الطيالسي، فمن رجال مسلم، وأخرج له البخاري تعليقًا.

آيةٍ".(١)

(٣) ما ورد في فضلها منفردة :

أ - ما رُوي عَنْ مَعقْلِ بْنِ يَسَارٍ، عَنِ النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - ، قال: "مَنْ قالَ حِينَ يُصبْحُ ثَلَاثَ مَرّاتٍ: أَعُوذُ بِاللّه السَّميع العَليمِ مِنَ الشّيْطَانِ الرّحِيمِ وَقَرأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَة الحَشْرِ وكّلَ اللّهُ بهِ سَبْعينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصلّونَ عَلَيْه حَتّى يُمْسِيَ، وَإنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ مَاتَ شَهيدًا، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتلْكَ المَنْزِلَةِ".(٢)

ب - ما روي عَنْ عَبْد الرّحْمَن بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النّبِيّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: إنّ أَخِي وَجع، فَقَالَ: "ما وَجَعُ أَخِيكَ؟" قَالَ: بِهِ لَمَمٌ، قَالَ: "فَابْعَثْ إِلَيّ بِهِ" قَالَ: فَجَاءَهُ، فَجلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: "فقَرَأَ عَلَيْهِ النّبيُّ - صلى الله عليه وسلم - فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَأَرْبَعَ آياتٍ مِنْ أَوّلِ سُورَة الْبَقَرةِ، وآيَتيْنِ مِنْ وَسَطهَا قَالَ تَعَالَى :

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده - حديث: العرياض بن سارية - حديث رقم (١٧١٦٠) (٣٩٢/٢٨)، - وأبو داوود في سننه - أبواب: النوم - باب: ما يقال عند النوم - حديث رقم (٥٠٥٧) (٣٩٦/٧)، وهذا الحديث إسناده ضعيف لضعف بقية - وهو ابن الوليد - ولجهالة ابن أبي بلال، واسمه: عبد الله. بحير: هو ابن سعد والصحيح إرساله.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب: فضائل القرآن - باب: ومن سورة الحشر - حديث رقم (٢٩٩٢)، وقال الترمذي: "هَذَا حَديثٌ غَرِيبٌ لَا نَعرفُهُ إِلَّا مِنْ هّذا الوَجْهِ "وأخرجه أبو يعلى في مسنده - مسند: رجل عن أبيه - حديث رقم (١٥٩٤) (١٦٧/٣) وقال حسين سليم أسد: "ضعيف"، وأخرجه الحاكم في مستدركه - كتاب: الرقي والتمائم - حديث رقم (٨٢٦٩) (٤٥٨/٤) وقال: "قدِ احتّجَ الشّيخَانِ رَضْيَ اللّهَ عَنْهُمَا برُواةِ هذا الْحَديثِ كُلّهم عَنْ آخِرِهِمْ غَيْرَ أَبِي جَنَابِ الكلَبي، وَالْحديثُ مَحْفُوظ صَحيحٌ، وَلَمَ يُخْرِجَاهُ" وقال الذهبي: "الحديث منكر". (١٨٢/٥) وقال الألباني ضعيف.

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[1] حَتّى فَرَغَ مِنَ الْآيَةِ، وَآيَةَ الْكُرسِيّ، وَثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرةِ، وَآيَةً مِنْ أَوّلِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ قَالَ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ ﴾[2] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَآيَةً مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[3] ، وآيَةً مِنْ سُورَةِ الْمُؤمِنِينَ قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾[4] ، وَآيَةً مِنْ سُورةِ الْجِنّ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾[5] وَعَشْرَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الصّفّ مِنْ أَوّلِهَا، وَثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾[6] ، وَالْمُعوذَتَيْنِ".[7]

رابعًا ــ عدد آياتها:

عدد آيات وَهِي عشرُون وَأَرْبع آيَات فِي جَمِيع الْعدَد لَيْسَ فِيهَا

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (١٦٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية رقم (١٨).

(٣) سورة الأعراف: الآية رقم (٥٤).

(٤) سورة الأعراف: الآية رقم (٥٤).

(٥) سورة المؤمنون، الآية رقم (١١٦).

(٦) سورة الجن، الآية رقم (٣).

(٧) أخرجه أبو يعلى في مسنده – مسند: رجل عن أبيه – حديث رقم (١٥٩٤) (١٦٧/٣) وقال حسين سليم أسد: "ضعيف"، وأخرجه الحاكم في مستدركه – كتاب: الرقي والتمائم – حديث رقم (٨٢٦٩) (٤٥٨/٤) وقال: "قدِ احتج الشيخانِ رَضْيَ اللهُ عليهما برُواة هذا الحديث كلهم عن آخرهم غير أبي جناب الكلبي، والحديث محفوظ صحيح، ولم يخرجاه" وقال الذهبي: "الحديث منكر".

اخْتِلَاف.[١]

خامسًا – ترتيب سورة الحشر :

١– ترتيبها المصحفي :

تعد سورة الحشر السورة التاسعة والخمسين حسب الرسم العثماني، تقع بعد سورة المجادلة، وقبل سورة الممتحنة، وهي السورة الأولى من المجموعة الثالثة من قسم المفصل.[٢]

٢– الترتيب النزلي: نزلت بعد سورة البينة.[٣]

سادسًا – مكيتها ومدنيتها :

سورة الحشر مدنية باتفاق أهل العلم.[٤]

(١) ينظر: البين في عد آي القرآن ، لأبي عمرو الداني ٠(ص٢٤٣)،ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ، للبقاعي (٧٢/٢)، و تفسير مفاتيح الغيب، للرازي (٥٠٢/٢٩)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/١٨)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (١٩٨/٥).

(٢) ينظر: الأساس في التفسير (٥٨٠٩/١٠).

(٣) ينظر: معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي (١٣٤/١).

(٤) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب، للرازي (٥٠٥/٢٩)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/١٨)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (١٩٨/٥).

المطلب الثاني

المناسبات في سورة الحشر، ومحورها، وأهم مقاصدها

أولًا – مناسبتها لما قبلها:

☜ **مناسبة افتتاحية سورة الحشر لختام ما قبلها (سورة المجادلة):**

١) ذكر الله – عز وجل – في آخر سورة المجادلة أنه القوي الغالب، وأنه المؤيد لعباده المرسلين، وأن القوة لله – سبحانه وتعالى – والنصرة له ولرسله، في قوله – تعالى –:﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ فكانت المناسبة أتم، والاتصال أقوى لما ذكر أن من مظاهر غلبة الله ورسوله– عليه السلام– إخراج اليهود من حصونهم المنيعة التي طالما تحصنوا بها وركنوا إليها، وظنوا أنها تمنعهم من الوصول إليهم والظفر بهم، فهم في مأمن تام ما داموا فيها، ولن يستطيع أحد أن يصل إليهم بسوء، فقال – سبحانه وتعالى – في أول هذه السورة: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ فالله – عزَّ وجلَّ – إذا أراد شيئًا فلا راد لقضائه، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

٢) ختمت سورة المجادلة بتنفير المؤمنين من موالاة من يحاد الله ورسوله، ولو كانت هذه الموالاة للأهل والعشيرة، في قوله – سبحانه وتعالى –: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ ﴾[1] وأخبرهم بمآلهم في الآخرة، وأنهم حزب الله – تعالى – وافتتح سورة الحشر بالتسبيح الدال على التنزيه من جميع المخلوقات، فكل المخلوقات تسبح الله – جل جلاله – ؛ لأنه هو العزيز الحكيم، ومن كان هذا حاله، فهو الأولى بالطاعة، ومن أطاعه صار من حزبه، ومن صار

(١) سورة المجادلة، الآية رقم (٢٢).

من حزبه فاز في الدنيا والآخرة.

٣) لما ذكر الله – عز وجل – في سورة المجادلة عاقبة من يحاد الله ورسوله في قوله – سبحانه وتعالى –: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[١] ذكر في هذه السورة عاقبة من يشاق الله ورسوله، في قوله – سبحانه وتعالى – ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾.[٢]

٤) اشتملت سورة المجادلة على إنكار الله – عز وجل – موالاة كل من اليهود والمنافقين بعضهم بعضًا من دونه – عزَّ وجلَّ –، وهذا فيه من فضح أخلاق اليهود والمنافقين وكشف ما انطوت عليه سرائرهم وتجرؤهم على الله – عزَّ وجلَّ – وأن هذه الموالاة لن تغني عنهم من الله – عزَّ وجلَّ – شيئًا، وأن مرجعهم إلى الله – سبحانه وتعالى – وسيحاسبهم على معاداتهم لله ورسوله كما في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[٣] ذكر في سور الحشر صورة من صور عدم إغناء المنافقين لليهود من دون الله شيئًا، فقَالَ (سبحانه وتعالى): ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾[٤].

٥) نزل قول الله – سبحانه وتعالى – ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ

(١) سورة المجادلة، الآية رقم (٢٠).
(٢) سورة الحشر الآية رقم (٤).
(٣) سورة المجادلة، الآية رقم (١٤).
(٤) سورة الحشر، الآية رقم (١١).

وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[1] فيمن قتل من أهل الصحابة، وعشيرتهم في غزوة بدر، وكانت في السنة الأولى من الهجرة، ولما كان إجلاء بني النضير عقبها، عقَّب الله – جلَّ جلاله – بذكر قصة إجلائهم في أول سورة الحشر؛ وذلك لتمام المناسبة وقوة الربط.

٦) لما ذكر الله – عزَّ وجلَّ – ما حدث من اليهود، وأن الله غضب عليهم وأعد لهم عذابًا شديدًا، وأنهم لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئًا؛ لأنهم نسوا ذكر الله – عزَّ وجلَّ – وصاروا من حزب الشيطان، فاستحقوا غضبه وعذابه الأليم، كما ورد في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[2] ، وكان ضمن ما تحصنوا به ظنًّا منهم أنه مانعهم من الله – عزَّ وجلَّ – حصونهم وبيوتهم.

وقد ذكر في سورة الحشر مظهرًا من مظاهر غضب الله – جل وجلاله – عليهم في الدنيا، وهو إخراجهم من بيوتهم وحصونهم وقلاعهم خزايا مفضوحين، فقَالَ (تَعَالَى):﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾.[3]

٧) لمَّا ذكر الله (تعالى) في آخر سورة المجادلة أنه (سبحانه وتعالى) غضب على اليهود بسبب كفرهم وعدم تنزيههم لله – جلَّ جلاله – ﴿ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[4] ، افتتح سورة الحشر بتنزيه الله – سبحانه وتعالى – عن كل ما لا يليق بجلاله، قال (سبحانه وتعالى):﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا

(١) سورة المجادلة، الآية رقم (٢٢).
(٢) سورة المجادلة، الآية رقم (١٧).
(٣) سورة الحشر، الآية رقم (٢).
(٤) سورة المجادلة، الآية رقم (١٤).

﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ ﴾ يقول البقاعي: فلما كان الغضب مشيرًا إلى ما ذكر من عظيم الشرك أتبعه (سبحانه وتعالى) تنزيه نفسه (جلَّ جلاله)، فقال: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ ﴾[1]، وإنما يرد التنزيه في الكتاب إثر جريمة تقع من العباد، وعظيمة يرتكبونها، وتأمل ذلك حيث وقع، ثم عاد إلى الإخبار بما فعل (سبحانه وتعالى) بأهل الكتاب مما يتصل بما تقدَّم ثم تناسب الآية.[2]

ثانيًا –ـ مناسبة افتتاحية السورة لخاتمتها :

لما كان من أوجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، براعة الاستهلال التي تجذب اهتمام كل من: القارئ والسامع على حد سواء، فتسترعي انتباههم، وهذه البراعة كما تكون في أوائل السور تكون – أيضًا – في خواتيمها؛ لأنها آخر ما يقرع السمع من السورة، تضمنت خواتيم السور على بعض المعاني البديعية التي تهيئ القارئ لانتهاء السورة، وتؤذن بفيوض بلاغة القرآن الكريم الذي يرتبط أوله بآخره؛ لذا نجد اشتمال هذه السورة المباركة على هذا النوع من البراعة في الاستهال.

وبيان ذلك: لما افتتح الله – عزَّ وجلَّ – هذه السورة الكريمة بتنزيهه – سبحانه وتعالى – عن كل ما لا يليق بجلاله، في إخبار منه – جلَّ جلاله – بتسبيح كل ما في السموات وما في الأرض، بيَّن في آخرها أسماءه الحسنى التي ينبغي أن يتقرب بها العبد إليه – سبحانه وتعالى – والتي تدل – أيضًا – على تنزيهه وتطهيره عن كل ما لا يجوز في حقه، ثم ختمها بما بدأها به من الإخبار بأن كل ما في السموات والأرض يسبحون بحمده، وينزهونه، ويتقربون إليه بألوان الطاعات والقربات،

(١) سورة الحشر، الآية رقم (١).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٥٤٦/٧).

والتي منها: أسماؤه وصفاته، على الوجه الذي يليق بكماله (سبحانه وتعالى)، قَالَ (تَعَالَى): ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] ، وهذا ما يعرف برد المقطع على المطلع، وفي هذا المعنى يقول البقاعي: " لما أخبر (سبحانه) أول السورة أن الكائنات أوجدت تسبيحه خضوعًا لعزته ورحمته، ودل على ذلك بما تقدم إلى أن أسمعه الآذان الواعية بالأسماء الحسنى، دل على دوام اتصافه بذلك من يحتاج لما له من النقص من الخلق إلى التذكير، فعبر بالمضارع فقال: ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ ، أي: يكرر التنزيه الأعظم من كل شائبة نقص على سبيل التجدد والاستمرار... وقد انعطف على افتتاحها وختامها وعانق ابتداؤها تمامها، وفي مطلعها مقطعها، وزاد وبلغ الغاية من الإرشاد إلى سبيل الرشاد، فسبحان من أنزله برحمته رحمة للعباد، وهاديًا إلى الصواب والسداد".[2]

مناسبة خاتمة سورة الحشر لافتتاحية سورة (الممتحنة) :

لمَّا ذكر الله – عزَّ وجلَّ – في آخر سورة الحشر قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ افتُتحت سورة الممتحنة، بمظهر من مظاهر عزة الله – عزَّ وجلَّ – وحكمته وتفرده على خلقه، وعلمه – تعالى – الشامل بما يضمرون في قلوبهم من موالاة أعداء الله (تعالى) الذين كفروا بما أنزل الله عليهم، فقد أخرجوهم من ديارهم وأموالهم، فهدد وتوعد من يفعل ذلك، ووصفهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ

(١) سورة الحشر، الآية رقم (٢٤).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٥٤٦/٧).

وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾[١].

– لما ختمت سورة الحشر بالنعي على الناس تركهم للقرآن الكريم، وعدم تدبره وفهم معانيه في قوله – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[٢]، ذكر في بداية سور الممتحنة، أن أهل الكفر هم الذين يكفرون بما أنزل على المؤمنين من الحق الذي أنزله الله إليهم في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ ، وفي هذا تحذير شديد لمن يوالي من يكفر بالحق؛ فحقٌّ على المؤمنين أن يخالفوا أهل الكفر في معتقدهم، ويُقبلوا على القرآن بقلوبهم وعقولهم؛ حتى يثمر الخشية في نفوسهم.

مناسبة مضمون سورة الحشر لمضمون سورة الممتحنة :

– تناولت كل من سورتَي: الحشر والممتحنة الحديث عن المعاهدين، فسورة الحشر تناولت الحديث عن المعاهدين من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأما سورة الممتحنة فتناولت المعاهدين من المشركين. فالمتأمل في سورة الحشر يجدها اشتملت على نوعين من الموالاة، هما: موالاة المؤمنين بعضهم بعضًا، وتمثَّلت تلك الموالاة في حبِّ الأنصار والمهاجرين كلٌّ منهما للآخر، وإيثار الأنصار المهاجرين على أنفسهم وأهليهم، كما أن هناك موالاة المنافقين للذين كفروا من أهل الكتاب.

– وجَّهت سورة الحشر أنظار المؤمنين إلى أنه من الواجب مخالفة أهل الكفر والشِّرك في المنهج والمسلك والاعتقاد، ومن أهم ما تجب فيه المخالفة موالاة المنافقين لليهود واغترارهم بهم، قَالَ (تَعَالَى): ﴿ ۞ أَلَمْ

(١) سورة الممتحنة، الآية رقم (١).

(٢) سورة الحشر، الآية رقم (١٩).

تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾[1]، وجاءت سورة الممتحنة بنهي المؤمنين عن موالاة الكفار؛ لئلا يصيروا إلى نفس مصير من سبقهم، قال (سبحانه وتعالى): ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾﴾.[2]

– لما بيَّنت سورة الحشر عدم استواء أهل الإيمان وأهل الكفر في قوله (تعالى): ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾[3] ، بيَّن في سورة الممتحنة أن المؤمنات لا يحلوا لأهل الشرك والكفر؛ لاختلافهم في المعتقد، وأرشد إلى عدم ردهم مرة أخرى إلى الكفار شرط ثبوت إيمانهم، وإخلاصهم لله ورسوله، قال (تعالى): ﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾.[4]

محور السورة: (معرفة الله – تعالى – بمعرفة أسمائه) :

نجد كل الموضوعات التي ناقشتها وعالجتها السورة الكريمة وقررتها، تؤكد هذا المحور (معرفة الله – تعالى – بمعرفة أسمائه)، وذلك من خلال التنبيه على فريقين، كلٌّ منهم على طرفي نقيض: فريق عرف

(١) سورة الحشر، الآية (١١).
(٢) سورة الممتحنة الآية (٨).
(٣) سورة الحشر الآية (٢٠).
(٤) سورة الممتحنة، الآية (١٠).

الله حق معرفته، فصارت كل أفعاله وحركاته، وأحواله وسكناته تشهد لله – عزَّ وجلَّ – بكل كمال وتنزهه – جلَّ جلاله – عن كل نقص، والفريق الآخر يتمثل في (اليهود والمنافقين) الذين لجهلهم بما يجب لله (جلَّ جلاله) من صفات الكمال، لم يعترفوا بقدرته، ولم ينزهوه عن ما لا يجوز في حقه، ودارت كل موضوعات السورة تقرر الكمال لله – جلَّ جلاله – في أبهى صورة، كما يليق بعزته وجلاله.

– افتُتحت السورة بالتنبيه على أن كل ما خلق الله – سبحانه وتعالى – في السموات والأرض من جماد وحيوان وغيره يجأرون إلى الله – جلَّ جلاله – بالتسبيح والتنزيه عن كل ما لا يليق به، مع الاعتراف الكامل بكل صفات الكمال والجلال.

– ثم ساقت السورة الكريمة نموذجًا عمليًّا لمن خالف الفطرة والدين والمعتقد، واتبع هواه من أهل الكتاب من اليهود والمنافقين، الذين اغتروا بما حباهم الله – جلَّ جلاله – به من قوة مادية، فاستعملوها في غير ما أراد الله – عزَّ وجلَّ –، فلم يقدروا الله حق قدره، ولم ينزهوه حق تنزيهه، بل اغتروا بنعم الله – عزَّ وجلَّ – ، حتى ظنوا أنه لن يمنعهم إلا قوتهم؛ فأذاقهم الله لباس الفزع والرعب، وأخرجهم من حصونهم وقوتهم، بما ألقى في قلوبهم من رعب وفزع وخوف من الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومن معه من المؤمنين، فخرجوا خزايا مفضوحين، فقد ناصبوا الله (عزَّ وجلَّ) ورسوله (صلى الله عليه وسلم) العداءَ، وشاقوا الله ورسوله، فالجزاء من جنس العمل.

– ثم لفتت السورة الكريمة الانتباه، ضمن محورها الدال على معرفة الله – عزَّ وجلَّ – باعتقاد كل الكمالات فيه، وتنزيهه عن كل النقائص، إلى حكم تشريعي، يخص فئة من المجتمع الإيماني دون الفئة الأخرى، وترك الحكم فيه لرسوله – صلى الله عليه وسلم – يحكم فيه بأمر الله – عزَّ وجلَّ – ، وهو (الفيء)، فقسَّمه النبي – صلى الله عليه وسلم – بين فئة سماها الله (جلَّ جلاله) لنبيه (صلى الله عليه وسلم)،

وترك الفئة الأخرى، فما كان من الفئتين إلا إظهار الخضوع، والخنوع والطاعة لما أمر الله – عزَّ وجلَّ – به وحكم به – نبيه – صلى الله عليه وسلم – وهذا من مظاهر معرفتهم بالله – عزَّ وجلَّ – واعترافهم له بالعدل الكامل، والحكمة المطلقة، فامتثلوا لأمره معظِّمين له جلَّ شأنه.

– ثم وجهت السورة النظر إلى أن من صفات المؤمنين عدم مخالفتهم لله ولرسوله (صلى الله عليه وسلم)، فما آتاهم الرسول أخذوه وعملوا به ما استطاعوا، وما نهاهم عنه ابتعدوا عنه ولم يقربوه، وعدَّد مآثر الأنصار الذين أووا الرسول والمهاجرين وعزروهم ونصروهم، واتبعوا النور الذي أُنزل معه، وسبقوا إلى الإيمان به واتباعه، وكذلك من جاء بعدهم ممن سار على نهجهم، وما كان ذلك إلا لاعترافهم لله – جلَّ جلاله – بكل كمال يليق به، فانتظموا بذلك في سلك المسبحين الذين عرفوا الله – جل جلاله – فخافوه وهابوه.

– ثم حذرت السورة المؤمنين من المنافقين الكذبة في عهودهم، وأن ما يقولونه لا يتعدى أفواههم، فلما وعدوا اليهود النصرة إذا قاتلوا، أو الخروج معهم إذا خرجوا، فاغتر بهم اليهود، وتشجَّعوا بهذا الوعد على نقض العهود، ومناصبة الرسول – صلى الله عليه وسلم – العداء، ومع ذلك لم يوفوا بالعهد ونكثوا، وما تم هذا الأمر منهم إلا لجهل كل من: اليهود والمنافقين بالله – جلَّ جلاله – فلم يعرفوه، ففعلوا أمورًا عظامًا استحقَّت عقابًا أعظم.

– ضرب الله (جلَّ جلاله) المثل بما حدث مع الأقوام السابقة لأخذ الحذر والحيطة، فلا ينساق الشيطان وراء الوعود الكاذبة للشيطان وتزيينه ما حرم الله؛ لأن المصير واحد، والعاقبة سوء، فالسابقون اغتروا به، وما أغنى عنهم من الله شيئًا.

– ثم أمر الله (جلَّ جلاله) عباده المؤمنين بتقواه، وابتغاء مرضاته، وذكره في كل أحوالهم، فلا ينسوا الله حتى لا ينساهم الله – عزَّ وجلَّ – كما فعل بمن قبلهم، الذين خسروا دنياهم وآخرتهم.

– ولمَّا كان أفضل الذكر تلاوة آيات القرآن البيِّنات؛ لفت النظر إلى أن القرآن الكريم، لما اشتمل عليه من معان وعبر وقصص وأمثال ووعد ووعيد لو أنزله الله (جل جلاله) على الجبال العِظَام الرواسي الشامخات، وخلق لها إدراكًا وتمييزًا تفهم به ما اشتمل عليه من هدايات، لرقَّ وخشع، وتصدع من خشية الله – عزَّ وجلَّ –.

– ثم ختمت السورة الكريمة بنفس براعة الاستهلال التي بدأت به في تقرير شامل كامل، لمعرفة الله – جلَّ جلاله – من خلال سرد مجموعة من أسمائه الحسنى التي تدل على علوه وتفرده، ومباينته لخلقه، فانعطفت الخاتمة على الافتتاحية، واحتوت موضوعاتها في شموخ وعزة تشهد لله (جلَّ جلاله) بالكمال، وتنزهه عن نقص، فانتظم الكون كله يسبح الله وينزهه، كما قال: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾.(١)

مقصود السورة وأهم موضوعاتها :

سورة الحشر من السور المدنية التي عنيت (كما عني سائر القرآن المدني) بالمعاملات، وذكر مثالب أهل الكتاب، والكشف عمَّا انطوت عليه سرائرهم، وبيان زيغهم، وبطلان معتقدهم، وذكر تآلفهم وموالاتهم للمنافقين إلى غير ذلك من المواضعات، التي من أهمها:

أولًا – تنزيه الله – جلَّ جلاله – عمَّا لا يليق بجلاله، في موضعين في السورة: بداية السورة وختامها، فسورة الحشر بدأت بالتسبيح وبذكر اسمي الله العزيز الحكيم، وختمت بالتسبيح وبذكر اسمي الله العزيز الحكيم. بدأت بقوله (تعالى): ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ وختمت بقوله (تعالى): ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي

(١) سورة الإسراء، الآية رقم (٤٤).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ ﴾.[1]

ثانيًا – ذكر كيفية إخراج الله – عزَّ وجلَّ – لبني النضير من حصونهم وبيوتهم، وبيان سوء عاقبتهم، ومعادتهم لله (سبحانه وتعالى)، ورسوله (صلى الله عليه وسلم).

ثالثًا – التنبيه على أن كل ما يفعله النبي (صلى الله عليه وسلم) إنما هو مأمور به وبوحي سماوي، فإذا قضى الله أمرًا لم يكن لأحد خيرة من أمره، قَالَ (تَعَالَى): ﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥ ﴾.[2]

رابعًا – بيان أن تقسيم الفيء إنما هو من الله – عزَّ وجلَّ – جعل للنبي – صلى الله عليه وسلم – حقَّ تقسيمه بين ما ذكرهم من أصناف حتى لا يستأثر بالمال مجموعة دون أخرى.

خامسًا – التنبيه على فضل المهاجرين والأنصار ومن جاء بعدهم، والإشارة إلى قوة إيمانهم وسلامة صدروهم من الغل والحقد والحسد، وتماسكهم حتى صاروا كالنفس الواحدة.

سادسًا – التحذير من سوء سلوك المنافقين وما انطوت عليه قرائحهم، وكذبهم، وأن ديدنهم مخالفة العهد ونقضه.

سابعًا – الإشارة إلى طبع اليهود وما جُبلت عليه نفوسهم من الضعف، والخوف، والانهزامية، وأن مخبرهم يخالف مظهرهم.

ثامنًا – التحذير من الشيطان، وتغريره بالإنسان، ثم التبرؤ منه يوم القيامة.

تاسعًا – تذكير الإنسان باليوم الآخر، والحث على تقوى الله – عزَّ وجلَّ – للفوز بالجنة والنجاة من النار.

عاشرًا – التحذير من سلوك طريق الفاسقين، والسير على نهجهم.

حادي عشر – بيان أن أهل الجنة وأهل النار لا يستوون، فكلٌّ منهم

---

(١) الأساس في التفسير، لسعيد حوي (١٠/ ٥٣١٨).

(٢) سورة الحشر الآية رقم (٥).

في منزلة تخالف الأخرى.

ثاني عشر – التنويه بشأن عظمة نزول القرآن الكريم، وما اشتمل عليه من هداي وموعظة.

ثالث عشر: الحث على توحيد الله – سبحانه وتعالى – وتنزيهه، وتقديسه بأسمائه، وصفاته، كما ينبغي لجلاله وكماله.

المبحث الثاني

التفسير الموضوعي لسورة الحشر

المقطع الأول

كلٌّ ما في الكون يُسبِّح لله

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ ﴾

*** التفسير الإجمالي:**

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾، التَّسْبِيحُ: تنزيه الله (سبحانه وتعالى)، أي: ينزه الله – سبحانه وتعالى – عن كل نقص جميع مخلوقاته، وجعل التّسْبِيح عامّا في العبادات قولًا كان، أو فعلًا، أو نيّةً، فالأشياء كلّها تسبّح له وتسجد، بعضها بالتّسخير وبعضها بالاختيار(١) ، فكل المخلوقات تصلي وتسجد وتسبح وتنزه الله (سبحانه وتعالى) على وجه يليق بجلاله، بكيفية لا يعلمها إلا الله، ليس لنا إلا أن نؤمن بما أخبر به – عزَّ وجلَّ – سواء وقفنا على معناه أو لم نقف، أدركته عقولنا أم أحالته، وقد أخبر الله – عزَّ وجلَّ – في كتابه الكريم في أكثر من موضع أن كل من في السموات والأرض يسبح بحمد الله – جلَّ جلاله –، فقد سخر الله – سبحانه وتعالى – مع داود – عليه السلام – الجبالَ تسبح وتنزه الله، قال (تعالى) :﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ ﴾(٢)، فقد أشرك الله (عزَّ وجلَّ) كل من في الكون من الجمادات والطير، وغيرها تسبِّح بحمده، فالله (سبحانه وتعالى) جعل جميع مخلوقاته في حالة تنزيه مستمر له – سبحانه وتعالى – عما لا يليق بجلاله، كلٌّ بما يليق بحاله، العقلاء من بني البشر تسبيحهم بلسان الحال ولسان المقال، وغير العقلاء بما يناسبهم ويليق بجلاله – سبحانه وتعالى –.

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (١/ ٣٩٣) (مادة: سبح).
(٢) سورة الأنبياء: الآية (٧٩).

يقول الزمخشري: "ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها".(١)

والمتأمل في الآية الكريمة يجد أن الله – سبحانه وتعالى – خص التسبيح وهو: التنزيه عن النقائص، بالذكر دون ما عداه من أوجه الكمالات ونعوت الجلال؛ وذلك ليتناسب السياق بما سيذكر بعد ذلك من صفات اليهود، الذين لم يتعرفوا لله – جلَّ جلاله – بكماله وجلاله ولم ينزهوه عن النقائص، فظنوا أنهم يعجزونه (سبحانه وتعالى)، فلا يستطيع أحد معاداتهم، ولا قهرهم ولا يجرؤ أحد على قتالهم؛ لما اغتروا به من قوتهم المادية والمعنوية، فجاءت الآية بالتنصيص على التنزيه؛ تقبيحًا لمسلكهم، وتنبيهًا على غفلتهم، فهم العقلاء الأولى بأن يتوجهوا إليه – تعالى – بالتنزيه والعبادة.

ثم ذُيلت الآية بما يدل على عزته – عزَّ وجلَّ – وانتقامه ممن عصاه وخالف منهجه وسنته التي سنها لخلقه، فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ ﴾ وهو العزيز في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيتهم إياه، ﴿ٱلۡحَكِيمُ ﴾ من في تدبيره إياهم.(٢)

الهدايات المستنبطة من الآيات:

– تنزيه الله (جلَّ جلاله) عن كل نقص والتوجه بالكلية إليه، فكل من في السموات والأرض يسبح لله – تعالى –، فكل الكائنات تصلي وتسجد لله – سبحانه وتعالى – بالطريقة التي تتناسب مع حالها، على الوجه الذي رضيه (جلَّ شأنه)، قال (تعالى): ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ ﴾(٣)– من مظاهر عزة الله

(١) ينظر: تفسير الكشاف، للزمخشري (٣/ ٢٤٥).
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٢٣/ ٢٥٩).
(٣) سورة النور: الآية رقم (٤١).

– جلَّ جلاله – انتقامه من كل من لا يعبده ولا يقر له بالوحدانية، فمن أجل الوحدانية أرسل الرسل وأنزل الكتب، وحمل الإنسان الأمانة، وهو المدبر للكون وما فيه.

– كل ما في الكون من مخلوقات تتوجه إلى الله – سبحانه وتعالى – بالتسبيح، كلٌّ بلسانه، وبما ألهمه الله – جلَّ جلاله – من طرائق للتسبيح تليق بحال كل كائن، وتتناسب مع أحواله.

المقطع الثاني

قصة إجلاء بني النضير وبيان حالهم مع الله ورسوله

قالَ (تَعَالَى) :

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٤ ﴾ الحشر: (١-٤).

☜ مناسبة الآيات لما قبلها :

لمَّا ذكر الله – جلَّ جلاله – في الآية الأولى أن كلَّ من في السموات والأرض يسبحون بحمد الله – تعالى – وينزهونه عن كل نقص، وختمت الآيات بالنص على كونه – جلَّ جلاله – عزيزًا حكيمًا، منتقمًا ممن عصاه، عقَّب في هذه الآيات بذكر نموذج عملي يتمثل في انتقام الله – عزَّ وجلَّ – من اليهود العصاة الذين شاقوا الله ورسوله، وهو أثر من الآثار المترتبة على عزته وحكمته، فأخرجهم من بيوتهم وحصونهم المنيعة التي

ظنوا أنها تمنعهم من بطش الله – عزَّ وجلَّ – وعذابه؛ لقوتها ومنعتها، وهذا مترتب على قصور عقولهم، وسوء تفكيرهم، فلم ينزهوا الله – جلَّ جلاله – مما لا يليق به، ولم يقدِّروا الله – حقَّ قدره – فكان عدم تنزيههم لله – جلَّ جلاله – واعترافهم بقوته وقدرته عليهم سببًا مباشرًا في انتقام الله – عزَّ وجلَّ – منهم.

☜ **التفسير الإجمالي :**

قَالَ (تعَالَى): ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ المراد بالحشر: هو إخراج الجمع من مكان إلى مكان آخر، وأول الحشر: هو إخراج يهود بني النضير إلى الشام بعد أن اخرجوا من بيوتهم وحصونهم؛ لأنهم اخرجوا مرة أخرى في زمن عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه – فقد أجلاهم من خيبر إلى الشام، وقيل: إن المراد بالحشر الآخر يوم القيامة، قال عكرمة: من شك أن الحشر يوم القيامة في الشام، فليقرأ هذه الآية.(١)

﴿ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْ ﴾ هذا إخبار من الله – عزَّ وجلَّ – لمَا وقع من المسلمين حين ظنوا أن اليهود لقوتهم الاقتصادية والمادية، ومنعة حصونهم وبيوتهم، وكثرة عدتهم وعتداهم – لن يقدروا عليهم، فلا سبيل إلى إخراجهم، ولا مناص من كيدهم ومكرهم.

وفي ذِكْرِ هذا الأمر ﴿ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْ ﴾ تعظيم للنعمة؛ لأن النعمة إذا جاءت من حيث لا ترتقب كانت مكانتها في النفوس أعظم، وكانت بها أشد سرورًا وابتهاجًا(٢)، وهذا الظن كما وقع من المؤمنين،

(١) ينظر: غريب القرآن، لابن قتيبة (٣٩٤/١).

(٢) ينظر: تفسير المراغي (٣٣/٢٨).

وقع من اليهود – أيضًا – كما أخبر الله – تعالى – عنهم في قوله (تعالى): ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾، فعِظَمُ حصونهم وقلاعهم جعلتهم يعتقدون أنهم لن يقدر عليهم أحد، ولن يجرؤ على مقاتلهم جيش، فركنوا إلى ما صنعته أيديهم، حتى غرهم بالله الغرور، فجاءت معاملة الله – عزَّ وجلَّ – لهم على خلاف ما اعتقدوا، فأخرجهم الله – عزَّ وجلَّ – على يد نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) منها أذلةً، وهم صاغرون.

يقول الإمام الرازي: وفي تقديم الخبر على المبتدأ في قوله (تعالى): ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾، دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم، وفي تصيير ضميرهم اسمًا، وإسناد الجملة إليه، دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة، لا يبالون بأحد يطمع في منازعتهم.(١)

﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ ﴾ أي: فاجأهم الله – عزَّ وجلَّ – ملك الملوك القوي القادر من جهة لا قبل لهم بها، حيث أخرجهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – من بيوتهم قهرًا وكمدًا، وذلك بقتل سيدهم كعب الأشراف.(٢)

﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ﴾ ، المراد بالرعب: الخوف الذي يرعب الصدر: أي: يملؤه(٣)، وقد أوثر التعبير بالقذف دون غيره من الألفاظ؛ لما في ذلك من الشدة في جعل الرعب في قلوبهم، فقد ملأ الله – جلَّ جلاله– قلوبهم خوفًا حتى زلزلهم وقوَّض عزائمهم، ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ﴾

(١) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب، للرازي (٥٠٢/٢٩).

(٢) ينظر: تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني (٢٣٣/٥).

(٣) ينظر: تفسير الكشاف، للزمخشري (٢/ ٧٠٩).

أي: أنزله إنزالًا شديدًا فيها، لدلالة مادة (القذف) عليه، كأنه مقذوف الحجارة.(١)

وهذا الرعب جند من جنود الله – سبحانه وتعالى – التي أيَّد بها نبيه محمدًا – صلى الله عليه وسلم – والتي أعطاها له ولم يعطها لأحد من قبله، فقد رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: "بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مسيرة شهر، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعتْ فِي يَدِي".(٢)

﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جعل الله – عزَّ وجلَّ – خراب بيوتهم واقعًا بأيديهم، فعمدوا إليها فخربوها؛ وذلك لما أيقنوا أن خروجهم كائن لا محالة، حتى لا يستفيد منها أحد بعدهم، أمَّا ما تبقى منها بعد خرابهم، فقد قام المؤمنون بتخريبه.

﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ أي: فاتعظوا أيها العقلاء بما حدث، واعلموا أن الله يفعل مثل ذلك بمن غدر، وخالف أمره – جلَّ جلاله – ورسوله – صلى الله عليه وسلم –.(٣)

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾ ، فلولا أن سبقت كلمة الله – جلَّ جلاله – على اليهود أن يخرجوا من بيوتهم وحصنوهم، لجمع الله – سبحانه وتعالى – لهم بين (عذاب الدنيا) بتسليط المؤمنين عليهم فيقتلوهم، ويسبوا أولادهم

---

(١) ينظر: تفسير محاسن التأويل للقاسمي (١٣٨/٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب: الجهاد والسير – باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "نُصرت بالرعب" – حديث رقم (٢٩٧٧) (٥٤/٤)، ومسلم في صحيحه – كتاب: المساجد ومواضع الصلاة – باب: باب جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا – حديث رقم (٥٢١) (٣٧٠/١).

(٣) التفسير المنير، للدكتور وهبة الزحيلي (٧٠/٢٨).

ونساءهم، كما فعل بأشباههم من بني قريظة، وبين عذاب الآخرة، وهذا بيان واضح لمخالفة معتقدهم، وإبطال آرائهم، فهم الزاعمون زورًا وبهتانًا أنهم أبناء الله وأحباؤه، الذين لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودات، فعاملهم بنقيض هذا المعتقد، وأظهر كذبهم وبهتانهم، وأن مقالتهم هذه لن تغني عنهم من الله (سبحانه وتعالى) شيئًا في الآخرة، كما لم تغن عنهم شيئًا في الدنيا.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٤ ﴾

جاءت هذه الآية سببًا للنتيجة السابقة، وهي: أنهم ما أخرجوا من ديارهم وأموالهم، إلا بسبب معادتهم لله – جلَّ جلاله – ولرسوله – صلى الله عليه وسلم – صلى الله عليه وسلم –، فكل من يشاق الله – جلَّ جلاله – ويخالف نهجه وسبيله، فإن الله – سبحانه وتعالى – أعدَّ له عذابًا شديدًا لسوء فعله، وإذا كانت هذه الآية جيء بها لبيان سبب إجلاء اليهود من ديارهم، فإنها – أيضًا – تعد تحذيرًا شديدًا، وتهديدًا واضحًا لكل من خالف أوامر الله – جلَّ جلاله – وخرج عن رقبة الدين، وانحرف عن الطريق المستقيم في كل زمان.

﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥ ﴾

سبب نزول الآية: عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما –: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حرَّق نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة؛ فأنزل الله فيهم: ﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥ ﴾[1].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب: التفسير – باب قوله: (ما قطعتم من لينة) =

توجه الخطاب في هذه الآية الكريمة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن معه من جيش المسلمين؛ لمَا قاموا به من تقطيع بعض النخل الخاص ببني النضير نكاية فيهم، ومبالغة في إذلالهم وقهرهم؛ لإجبارهم على ترك حصونهم، وتركوا بعضه قائمًا لم يقطع، فعاب اليهود على النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه فعل ما كان ينهى عنه، من تقطيع النخل وإحراقه؛ لما في ذلك من التخريب، وهذا الأمر منهي عنه إن كان مقصودًا لذاته؛ لذا أخبرهم الله – عزَّ وجلَّ – بأن كل ما فعلوه من التقطيع والترك إنما هو بأمر الله – جلَّ جلاله – وإذنه، فما كان للنبي – صلى الله عليه وسلم – ولا الصحابة من بعده أن يفعلوا أمرًا لم يأذن به الله، فما همُّوا به كان لعلة وسبب، والعلة في ذلك كما يقول ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أراد الضغط عليهم كي يستزلهم من حصونهم، وهو نوع من أنواع الضغوط في الحروب يراد به إضعاف الخصم، وإنزال الرهبة، وإفزاع القلوب.

﴿ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥ ﴾ أي: يذل اليهود، وينزل الحسرة في قلوبهم بما فعله النبي ومن معه، فكلا الفعلين – قطع بعض النخيل، وترك البعض الآخر – كان حسرة وخزيًا لهم، فما قُطع من النخل تحسروا على قطعه، وما تُرك ندموا على تركه، وكل من الفعل والترك إنما هو بأمر الله – عزَّ وجلَّ – وإرادته، فلا عيب ولا تهمة فيما فعله النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه.

☜ **الهدايات المستنبطة من الآيات:**

- نقض اليهود للعهود دأب وعادة مجبولين عليها، ومعادة الرسل والأنبياء أمر مركوز في فطرتهم، ترتب عليه تكبرهم على الخلق، ورد الحق.

=

– حديث رقم (٤٨٨٤) (١٤٧/٦).

– اغترار اليهود بحصونهم، وقلاعهم، لن يغني عنهم من الله – جلَّ جلاله – شيئًا.

– جنود الله – تعالى – لا يعلم عددها إلا هو﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١﴾[1] ، فأرسل الله – عزَّ وجلَّ – على اليهود جندًا من جنوده، من أنفسهم وبين أضلعم؛ فقهرهم، وأفزعهم، وأخزاهم؛ فضعفت نفوسهم وجبنت قلوبهم عن مواجهة النبي – صلى الله عليه وسلم – بالسلاح؛ فخرجوا مستسلمين تاركين نِعَمَ الله – عزَّ وجلَّ – عليهم.

– جعل الله – جلَّ جلاله – خراب مساكن اليهود موكولًا إليهم، وبأيدهم؛ ليكون أبلغ في إيقاع الخزي عليهم، والحسرة في قلوبهم، وبيان ضعفهم، وقلة حيلتهم.

– مُشَاقة الله – عزَّ وجلَّ – ورسوله – صلى الله عليه وسلم – سببٌ في كل سوء وبلية، فالله (عزَّ وجلَّ) لم يُخرج اليهود، إلا لمشاقتهم الله ورسوله، وعدم الاعتراف لله (سبحانه وتعالى)، بكل كمال، وأنه قادر على كل شيء، فقدرته لا يحدها حدٌّ، ولا تقاس بمقاييس البشر، فالله (تعالى) ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾.[2]

(١) سورة المدثر، الآية رقم (٣١).

(٢) سورة الشورى، الآية رقم (١١).

المقطع الثالث

الفيء، صفته، وحكمه

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر: ٦ – ٩

☜ مناسبة الآيات لما قبلها :

لمَّا ذكر الله في الآيات السابقة إجلاء بني النضير، وتركهم أموالهم وأرضيهم، وسلاحهم، عقَّب في هذه الآيات بحكم هذا المال الذي أفاءه الله – تعالى – على رسوله من غير قتال، ولا جهاد ومشقة، وكيفية تقسيمه، وبيان الأصناف المستحقين لهذا الفيء، والعلة الباعثة على هذه القسمة.

يقول الإمام أبو السعود: قَالَ (تَعَالَى): ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ ﴾ شروع في بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد بيان ما حلَّ بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل، وما فعل بديارهم، ونخيلهم من التخريب والقطع، أي: ما أعاده إليه ممَّا لهم، وفيه إشعار بأنه كان حقيقًا بأن يكون له – صلى الله عليه وسلم– ، وإنما وقع في أيديهم بغير حق فرجعه الله – عزَّ وجلَّ –

إلى مستحقه؛ لأنه – تعالى – خلق الناس لعبادته، وخلق ما خلق ليتوسلوا به إلى طاعته، فهو جدير بأن يكون للمطيعين.(١)

☜ **سبب النزول :**

أخرج الطبري في تفسيره عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، في قَوْلُهُ: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾ (٢) قَالَ: أمر الله (عزَّ وجلَّ) نَبيَّهُ بِالسَّيْرِ إِلَى قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ وَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ كَثِيرُ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ، فَجَعَلَ مَا أَصَابَ رَسُولُ اللّه – صلى الله عليه وسلم – يَحْكُمُ فِيهِ مَا أَرَادَ، وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ خَيْلٌ وَلَا رِكَابٌ يُوجَفُ بِهَا. قَالَ: وَالْإِيجَافُ: أَنْ يُوضَعُوا السَّيْرَ وَهِيَ لِرَسُولِ اللّهِ (صلى الله عليه وسلم)، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ خَيْبرُ وَفَدَكٌ وَقُرًى عَرَبِيّةٌ، وَأَمَرَ اللّهُ رَسُولَهُ أَنْ يُعِدَّ لِيَنْبُعَ، فَأَتَاهَا رَسُولُ اللّهِ (صلى الله عليه وسلم)، فَاحْتَوَاهَا كُلَّهَا، فَقَالَ نَاسٌ: هَلَّا قَسَمَهَا، فَأَنْزَلَ اللّهُ (عزَّ وَجَلَّ) عُذْرَهُ، فَقَالَ: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(٣) ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾.(٤)

☜ **التفسير الإجمالي :**

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ هذه الآية معطوفة على ما قبلها من

---

(١) ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٢٢٧/٨).

(٢) سورة الحشر، الآية رقم (٦).

(٣) سورة الحشر، الآية رقم (٧).

(٤) ينظر: تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري (٥١٤/٢٢).

باب عطف القصة على القصة، والغرض على الغرض للانتقال إلى التعريف بمصير أموال بني النضير؛ لئلا يختلف رجال المسلمين في قسمته.

ولبيان أن ما فعله الرسول – صلى الله عليه وسلم – في قسمة أموال بني النضير هو عدل.(١)

المراد بالفيء: هو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير إيجاف خيل ولا ركاب، بأن صالحهم على مال يؤدونه، ومال الجزية، وما يؤخذ من أموالهم إذا دخلوا دار الإسلام للتجارة، أو يموت واحد منهم في دار الإسلام ولا وارث له، فهذا كله فيء.(٢)

وهذا المال قد جعله الله – عزَّ وجلَّ – خالصًا لعبده ونبيه محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهو من الخصائص التي خصّه الله – عزَّ وجلَّ – بها، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يأخذ من هذا المال ما يكفيه، وأهل بيته في نفقة السَّنة، ثم يقسِّم ما تبقى في سائر مصالح المسلمين.

يقول عمر بن الخطاب في بيان مال الفيء من بني النضير: إِنَّ اللَّهَ قَدْ خَصَّ رَسُولَهُ (صلى الله عليه وسلم) فِي هَذَا الفَيْءِ بِشَيءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ قَدِيرٌ ﴾(٣)، فَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةٌ لِرَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – ، وَاللَّهِ مَا احْتَازَهَا دُونَكُمْ، وَلَا اسْتَأْثَرَ بِهَا عَلَيْكُمْ، قَدْ أَعْطَاكُمُوهَا وَبَثَّهَا فِيكُمْ، حَتَّى بَقِيَ مِنْهَا هَذَا المَالُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِمْ مِنْ هَذَا المَالِ، ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ، فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلَ مَالِ

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٧٠/٢٨).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٣٦١/٣). ينظر تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٧٠/٢٨).

(٣) سورة الحشر، الآية رقم (٦).

اللَّهِ، فَعَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – بِذَلِكَ حَيَاتَهُ.(١)

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ فهذه أموال بني النضير، حيزت للنبي – صلى الله عليه وسلم – بتسليط الله – عزَّ وجلَّ – له عليهم، وإنزال الرعب منه في قلوبهم، فخرجوا بغير قتال، صاغرين، تاركين أرضهم وأموالهم؛ لذا جعل الله – تعالى – حكم تقسيم هذه الأموال التي وصلت للمسلمين بغير قتال ولا جهاد، للنبي – صلى الله عليه وسلم – وجعل لها حكمًا خاصًّا دون مال الغنيمة؛ لوصولها إليهم بالجهاد والمقاتلة.

لذا، ختم الله – تعالى الآية بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ لبيان أن قدرة الله (تعالى) لا يحدها حدٌّ، فكما ينصر المسلمين بالقتال وإيجاف الخيل والركاب ويصير المال غنيمة، ينصرهم بدون قتال ويصير المال فيء، ولكل منهم حكم خاص به، فهو يفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة، وتارة بغيرها.(٢)

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ﴾ كبني النضير ومن على شاكلتها من القرى التي فتحت بغير قتال، ولا إيجاف خيل ولا ركاب.

﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فـ(لله)، أي: يحكم فيها الله – تعالى – بما يشاء، ويأمر رسوله بتقسيمها على الهيئة التي يريد، والمراد بـ: ﴿ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ، قرابة النبي – صلى الله عليه

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب: فرض الخمس – باب: حديث بني النضير، النضير، ومخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إليهم في دية الرجلين، وما أرادوا من الغدر برسول الله (صلى الله عليه وسلم) – حديث رقم (٤٠٣٣) (٨٩/٥).

(٢) ينظر: تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (١٩٩/٥).

وسلم – منعوا الصدقة وعوضوا من الفيء.[١]

فالعلة في تقسيم الفيء بهذه الكيفية وجعل جزء منه في ذوي قربى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ لأنه لما كانت لا تحل لذوي قرابة النبي – صلى الله عليه وسلم – الصدقة بنوعيها (الزكاة، وصدقة التطوع)، وإذا قبض النبي – صلى الله عليه وسلم – لن يصير إليهم شيئًا من ماله؛ لأنه أخبر وقوله الحق: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)[٢] ، ولما كانت قرابته – عليه السلام – فيهم الفقير والمحتاج والضعيف، والأرملة، والمسكين، كان لا بد من أن يتكفل لهم الدين الإسلامي بوسيلة تكافل اقتصادية اجتماعية تغنيهم عن سؤالهم الناس وتؤمن لهم حياة كريمة، فجعل لهم من الغنائم ومن الفيء نصيبًا معلومًا.

وهؤلاء الأصناف الخمسة المذكورون في الآية من فقراء المهاجرين، دون الأنصار، فلم يعط النبي – صلى الله عليه وسلم – لفقراء الأنصار من مال الفيء شيئًا إلا سهل بن حنيف، وأبو دجانة، لمَّا شَكَوا للرسول – صلى الله عليه وسلم – ضيق ذات اليد، والفقر الشديد الذي أحاط بهم، فأعطاهم.[٣]

﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ﴾ بيان للحكمة من القسمة على الهيئة السابقة، مع بيان مستحقيها وأنصبتهم؛ وذلك حتى لا يكون المال حكرًا على الأغنياء دون الفقراء، كما كانت الحال في الجاهلية من استئثار الأغنياء بالمال.

ثم ختمت الآيات بتوجيه أنظار المسلمين عامة إلى وجوب متابعة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وامتثال أوامره واجتناب ما نهى عنه،

---

(١) ينظر: تفسير المحرر الوجيز، لابن عطية (٢٨٦/٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب – الجهاد والسير – باب – حكم الفيء – حديث رقم (١٧٥٧) (١٣٧٧/٣).

(٣) ينظر: التفسير المنير، لوهبة الزحيلي (٨٧/٢٨) بتصرف.

فقال – تعالى – : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾في كل أمور الدين، والتي منها حكم الفيء، وقسمته، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – مؤيد بالوحي.

فقد روي عن ابن عباس – رضي الله عنه – أنه قال: "لعن الله، الواشمات والمتنمصات، والمفلجات للحسن المغيرات خلق الله". فقالت أم يعقوب: ما هذا؟ قال عبد الله: "وما لي لا ألعن من لعن رسول الله، وفي كتاب الله؟" قالت: والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته، قال: "والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾.(١) (٢)

فمن رحمة الله – تعالى – بعباده أن بيَّن لهم طريق الخير والشر، وأرسل لهم الرسول ليبين لهم ما نزل إليهم من أمر الوحي مما لا يعلم إلا ببيان النبي (صلى الله عليه وسلم)، يقول (تعالى): ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(٣)؛ لذا أمرهم بتقوى الله – تعالى – ، واتباع رسوله، والحذر من مخالفته؛ لأن الله – جلَّ جلاله – شديد العقاب لمن خالف أمره ونهيه؛ ولأنه – عليه السلام – إنما يأمر وينهى بأمر الله – جلَّ جلاله – وقد جاء الحثُّ على طاعة الرسول وعدم مخالفته، وبيان أن طاعته – عليه السلام – طاعة لله – عزَّ وجلَّ – في نصوص كثيرة من الكتاب والسُّنة، قال – تعالى – : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ﴾(٤) وقال – تعالى –: ﴿ قُلْ

(١) سورة الحشر، الآية رقم (٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب: اللباس – باب: المتنمصات – حديث رقم (٥٩٣٩) (١٦٦/٧).

(٣) سورة النحل، الآية رقم (٤٤).

(٤) سورة المائدة، الآية رقم (٩٢).

﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[١]، وقال – صلى الله عليه وسلم – : (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله).[٢]

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾

من الأصناف المستحقة للفيء، فقراء المهاجرين، و ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ بدل من قوله: ﴿ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ ، كأنه قيل: "أعني بأولئك الأربعة هؤلاء الفقراء والمهاجرين[٣] من أهل مكة الذين تركوا أموالهم وبلادهم؛ امتثالًا لأمر الله، أخرجهم أهل مكة واستولوا على أموالهم، فما أثناهم هذا عن الهجرة، فهاجروا ابتغاء رضوان الله – تعالى – في الدنيا، وجنته في الآخرة، فقوله: ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾، حال مقيدة لإخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم.[٤]

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ أي: في الإيمان اليقيني لتصديق أعمالهم دعواهم، إذ علامة وجدان اليقين ظهور أثره على الجوارح، بحيث لا تمكن حركاتها إلا على مقتضى شاهدهم من العلم.[٥]

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم (٣١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب: الأحكام – باب: قول الله (تعالى): (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) – حديث رقم (٧١٣٧) (٦١/٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه – كتاب: الإمارة – باب: وجوب طاعة الأمير في غير معصية – حديث رقم (١٨٥٣) (١٤٦٦/٣).

(٣) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب، للرازي (٢٤٦/٢٩).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (٣١٩/٥).

(٥) ينظر: تفسير محاسن التأويل، للقاسمي (١٨٧/٩).

فما حملهم على الهجرة إلا نصرة دين الله – سبحانه وتعالى – والتمكين له؛ فاستحقوا بذلك وصف الله لهم بالصدق؛ لأنه وافق مخبرهم مظهرهم، كانوا صادقين قولًا وعملًا، فمن مقتضيات شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله – طاعة الله (سبحانه وتعالى) ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، وقد أمروا بالهجرة، فامتثلوا لأمره – عزَّ وجلَّ – لقوة يقينهم وإيمانهم، ولم يُثنهم لومة اللائمين؛ لأن حب الله تشرَّب في قلوبهم، فأصبح سمعهم الذي يسمعون به، وبصرهم الذي يبصرون به.

وقد وصف الله – سبحانه وتعالى – هذا الصنف من المسلمين بست صفات، هي:

الأولى: كونهم فقراء، الثانية: كونهم مهاجرين، الثالثة: كونهم أُخرجوا من ديارهم وأموالهم. الرابعة: كونهم يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا، الخامسة: كونهم ينصرون الله ورسوله، السادسة: كونهم صادقين.

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾

لمَّا رضي الأنصار بحكم الله – عزَّ وجلَّ – في الفيء، وجعله في فقراء المهاجرين دون الأنصار، عقَّب الله – جلَّ جلاله – بالثناء عليهم، وبيان منزلتهم وكرامتهم، لما طابت به نفوسهم، فالأنصار سكنوا المدينة قبل مجيء المهاجرين إليها، فهي موطنهم وأمانهم ومأمنهم، وآمنوا بالنبي – صلى الله عليه وسلم – قبل مجيئه إليهم مهاجرًا، وقبل إيمان الكثير من المهاجرين، فقد سبقوهم بالسكنى وسبقوا بعضهم بالإيمان.

﴿ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ : من مؤمني أهل المكة الذين تركوا ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله (تعالى)، وما كان ذلك إلا لشرفهم وكرمهم، وسمو أخلاقهم.

﴿ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ ﴾ المراد بالحاجة هي: الحسد والضغينة التي قد توجد في القلوب تجاه من فضلوا عليهم، فالله – تعالى – لما فضَّل المهاجرين على الأنصار وخصهم بالفيء، لم يحسدوهم ولم يكيدوا لهم، فصدورهم صافية، وقلوبهم من الأمراض نقية.

قال الحسن البصري: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ ﴾ يعني: الحسد(١)، وقد وردت الكثير من الأحاديث والمرويات في كتب التفسير والسُّنة تدل على مظاهر حب الأنصار للمهاجرين منها: ما رُوي عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ الْمُهَاجِرُونَ: يَا رَسُولَ الله، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ مُوَاسَاةً فِي قَلِيلٍ، وَلَا أَحْسَنَ بَذْلًا فِي كَثِيرٍ، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمَؤُنَةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَأِ، حَتَّى لَقَدْ حَسِبْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ قَالَ: "لَا، مَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ، وَدَعَوْتُمُ الله لَهُمْ(٢)، وعن أبي هريرة قال: قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: لا. فقالوا: تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة؟ قالوا: سمعنا وأطعنا.(٣)

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ أي: فالإيثار من صفات الأنصار، وقد رُوي أن هذه الآية نزلت في رجل من الأنصار، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن رجلًا أتى النبي (صلى الله عليه

---

(١) ينظر: تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٨٤/٢٣)، ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦٩/٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده – مسند أنس بن مالك – حديث رقم (١٣٠٧٥) (٣٦١/٢٠)، وأبو يعلى في مسنده مسند حميد الطويل عن أنس، حديث رقم (٣٧٨٠) (٤١٥/٦)، رجالة رجال الصحيح.

(٣) ينظر: تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٨/٩)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/١٠).

وسلم)، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من يضم أو يضيف هذا؟"، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال: "ضحك الله الليلة، أو عجب، من فعالكما"، فأنزل الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾.[1] [2]

رتب الله – عزَّ وجلَّ – الفلاح في الآخرة على السمو بالنفس، ومجاهدتها، وعدم الركون إليها، بترك الإنفاق في سبيل الله – تعالى – فقال: (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون). فأضاف الشح إلى النفس؛ لأنه أعلى درجات المنع، فهو في مرتبة أعلى من البخل، قال الرازي: واعلم أن الفرق بين الشح والبخل هو: أن البخل نفس المنع، والشح هو: الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع، فلما كان الشح من صفات النفس، لا جرم قال (سبحانه وتعالى): (ومن يوق شح نفسه)[3]؛ لأنه يدل على كثرة طمعها، وضبطها على المال والرغبة فيه، وامتداد الأمل، وهو فقر لا يذهبه غنى المال، بل يزيده، وهو داعية كل خلق

(١) سورة الحشر، الآية رقم (٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب: التفسير باب: قول الله (تعالى): (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) – حديث رقم (٣٧٩٨) (٣٤/٥). والصحيح المسند من أسباب النزول (٢٠٨/١).

(٣) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب، للرازي (٥٠٩/٢٩).

سوء.[١]

وقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن من كمال إيمان المؤمن تطهره من هذا النوع من سوء الخلق، فالإيمان يدعو إلى النفقة سرًا وجهرًا، فرضًا ونفلًا، قليلة كانت أو كثيرة، ولو بشق تمرة، مادية كانت أو معنوية، فالتبسم في وجه الآخرين صدقة كما قال – عليه السلام – : (تبسمك في وجه أخيك صدقة)[٢]، أما الشُّحُّ فإنه يدعو إلى نقيض ما يدعو إليه الإيمان، فلا يمكن بحال من الأحوال أن يجتمع الشح والإيمان في قلب المؤمن؛ لمَا رُوي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (لَا يَجتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ودُخَانُ جَهَنَّمَ فِي جَوفِ عَبدٍ أَبَدًا، ولَا يَجتمَعُ الشُّحُ والإيمَانُ في قَلبِ عَبدٍ أَبَدًا)[٣] ، فالعبد إذا أدى الزكاة المفروضة، وأكرم الضيف إذا نزل به، وأعان على نوائب الدهر، وساعد المحتاج، وانتصر للمظلوم، فقد برئ من الشح، فقد رُوي عَنْ جَابرٍ (رضي الله عنه) أن النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدْ بَرِيءَ مِنَ الشُّحِّ: مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، وقَرَّى

(١) ينظر: تفسير فتح الرحمن في تفسير القرآن (١٣٩/٧).

(٢) أخرجه ابن حيان في صحيحه – تتمة كتاب – البر والإحسان – باب: حسن الخلق – حديث رقم (٤٧٤) (٢٢١/٢)، وقال محقق الكتاب (شعيب الأرنؤوط):" حديث صحيح " (٢٦٨/٢). وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" "٨٩١" من طريق عبد الله بن رجاء، عن عكرمة بن عمار، به، مطولا، وأخرجه الترمذي في سننه ، أبواب البر والصلة ، باب: ما جاء في صنائع المعروف ، حديث رقم (١٩٥٩) (٣٣٩/٤) ، وقال الأباني : "حديث صحيح" .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد – باب: الشح – حديث رقم (٢٨١) (١٤٧/١)، ابن حيان في صحيحه – كتاب: الزكاة – باب: ذكر نفي اجتماع الإيمان والشح عن قلب المسلم – حديث رقم (٣٢٥١) (٤٣/٨)، حديث: (صحيح لغيره) .

الضَّيْفَ، وَأَعْطَى فِي النَّوائِبِ"[1] "وإذا برئ من الشح، وتحلى بأخلاق أهل الإيمان من حبِّ الإنفاق الترغيب فيه، والمسارعة إليه، كان من الفالحين الذين فازوا برضا الله – عزَّ وجلَّ – في الدنيا والآخرة.

قَالَ (تَعَالَى): ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ الحشر: ١٠

وصف الله – سبحانه وتعالى – في هذه الآية المباركة، علاقة اللاحقين من المسلمين بالسابقين، من استغفارهم لهم، والتضرع إلى الله – تعالى – أن يطهِّرَ قلوبهم من الأمراض المعنوية؛ لأنها أشد ضررًا على الفرد من أمراض الجسد، فكانوا خير خلف لخير سلف، فالمقصود بـــ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ المؤمنون من غير المهاجرين والأنصار، ممن آمن بعدهم إلى أن يرث الله (عزَّ وجلَّ) الأرض ومن عليها، يستغفرون لمن سبقهم بالإيمان من المهاجرين والأنصار من الصحابة الكرام (رضي الله عنهم)، راجين من الله (عزَّ وجلَّ) ألَّا يجعل في قلوبهم غِلًّا ولا حسدًا ولا كيدًا لهم.

وفي الآية دليل على جواز الترحم على الصحابة (رضي الله عنهم)، وذكرهم بالخير والدعاء لهم، فهذه الآيات قد استوعبت جميع المـــؤمنين؛ لأنهم إما المهاجرون أو الأنصار أو الذين جاءوا من بعدهم، وبيَّن أنَّ مِنْ شأن مَنْ جاء من بعد المهاجرين والأنصـــار أن يـــذكر الســـابقين وهـــم المهاجرون والأنصار بالدعاء والرحمة، فمن لم يكن كذلك بـــل ذكـــرهم

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير – باب: الألف من اسمه أحمد – حديث رقم (١٢٦)، وقال: لَمْ يروه عن الأوزاعي إلا بشر الدمشقي، تفرد به زكريا، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، في المقدمة – باب: الجود والسخاء – حديث رقم (١٠٤٠٢) (٣٢٠/١٣).

بسوء كان خارجًا من جملة أقسام المؤمنين بحسب نص هذه الآية.[١]

☜ **الهدايات المستنبطة من الآيات :**

– تذكير النبي (صلى الله عليه وسلم) والصحابة بنِعَمِ الله – سبحانه وتعالى – عليهم فيما أحرزوه من مال يهود بني النضير مما أفاء الله – جلَّ جلاله – عليهم من غير قتال ولا إيجاب خيل ولا ركاب.

– بيان الفرق بين الغنيمة والفيء، فالغنيمة هي ما يصل إلى المؤمنين من مال الكفار بعد القتال وحصول الجهد والمشقة، أما الفيء فهو ما يمتلكه المسلمون من أموال الكافرين بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، فلا يحصل معه مثل ما يحصل مع الغنيمة؛ لذا كانت قسمته تختلف عن الغنيمة.

فالغنيمة تقسَّم بين كل من شارك في الجهاد من الأنصار والمهاجرين، على الصفة التي ذكرها الله – عز وجل – ثم يوزع الباقي في مصارفه الشرعية.

أما الفيء فيقسَّم في فقراء المهاجرين دون الأنصار، وما تبقى يوزع فيمن سمَّاهم الله – عز وجل – لرسوله – صلى الله عليه وسلم – وليس للمسلمين في كِلَا الأمرين إلا السمع والطاعة والاعتراف بأن لله (سبحانه وتعالى) في كلِّ حكمٍ علةً وحكمةً.

يقول الإمام الشافعي – رحمه الله – فالغنيمةُ والفيءُ يجتمعان في أمر ويفترقان في آخر. فيجتمعان في: أَنَّ فيهما الخُمُسَ في جميعِهما لمنْ سماهُ اللهُ – سبحانه وتعالى – له في الآيتين معًا، قَالَ (تَعَالَى): ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[٢]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ

(١) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب، للرازي (٥٠٩/٢٩).

(٢) سورة الأنفال، الآية رقم (٤١).

رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.(١)

ويفترقان في أنَّ الحكمُ في الأربعة الأخماس كما بيَّن الله – سبحانه وتعالى – على لسان نبيهِ – صلى الله عليه وسلم – ، وفي فعله؛ فإنه قَسَمَ أربعةَ أخماسِ الغنيمةِ، والغنيمةُ هي المُوجَفُ عليهِ بالخيلِ والرّكاب لِمَنْ حَضَرَ مِنْ غنِيٍّ وفقيرٍ، والفيءُ هو ما لم يُوجَفْ عليه بخيلٍ ولا ركاب، فكانَتْ سنةُ رسولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – في القُرى التي أفاءَ اللهُ عليه أَنَّ أربعةَ أَخْماسها لرسولِ الله دَونَ المسلمينَ، يضعُها رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – حيثُ أرادَ اللّهُ (عزَّ وجلَّ).(٢)

– شرعت الآية نوعًا من أنواع التكافل الاقتصادي الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإيماني، لفئة هم أشد احتياجًا من غيرهم، فتكلفت لهم بتوفير حدِّ الكفاية من احتياجاتهم الحياتية، بطريقة تحفظ كرامتهم وإنسانيتهم، كما نبَّهت في لطف إلى عدم استئثار مجموعة منهم بالمال دون غيرهم؛ مما يؤدي إلى تراكم المال في يد فئة قليلة وهم الأغنياء، دون السواد الأعظم من المجتمع، وهذا بدوره يؤدي إلى تهميش الفئة الأكثر، ويكون سببًا من أسباب انتشار الجرائم، كالسرقات، والغصب، وغيرها من الطرق غير المشروعة لكسب المال؛ لما جبلت عليه النفس من حبه، قال – تعالى –: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾(٣)، فتراكم المال والثروة في يد مجموعة دون أخرى؛

(١) سورة الحشر، الآية رقم (٧).
(٢) أحكام القرآن، للشافعي (١/ ١٥٥، ١٥٤).
(٣) سورة آل عمران، الآية رقم (١٤).

يؤدي إلى انتشار الجريمة بين أبناء المجتمع؛ مما يضعف الوازع الديني، فيصيروا عُرضةً لأمراض القلوب كالحسد والغل، وهذا نقيض ما جاء الدين بإرسائه والدعوة إليه، بل حاربه وسدَّ كل الطرق والأسباب المودي إليه، وبذلك يكون الإسلام قد جفف منابع أمراض القلوب وحدَّ من انتشارها بين أبنائه، فينشأ المجتمع متماسكًا متآلفًا يحب بعضُهُ بعضًا، ويعاضد كل فرد منه الآخر في سلام ووئام.

– بيان مآثر الأنصار وصفاتهم الخُلقيَّة التي كانت سببًا في حصول الثناء عليهم، ونزول آيات بينات تجلي محاسنهم وحبهم لله – تعالى – ولرسوله – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين، وأنهم يؤثرون على أنفسهم ويقدمون المهاجرين في كل أمورهم وأحوالهم، حتى لو كانت بهم حاجة، دل على ذلك سبب نزول قول الله (سبحانه وتعالى): ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾، وما رُوي عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا)، قَالَ: أُهْدِي لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّٰهِ – صلى الله عليه وسلم – رَأْسُ شَاةٍ، فَقَالَ: "إِنَّ أَخِي فُلَانًا وَعِيَالَهُ أَحْوَجُ إِلَى هَذَا مِنَّا" قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ إِلَيْهِ وَاحِدًا إِلَى آخَرَ حَتَّى تَدَاوَلَهَا سَبْعَةُ أَبْيَاتٍ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى الْأَوَّلِ فَنَزَلَتْ ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾.(١)

والإيثار ليس معناه أن يتصدق الإنسان بكل ماله، ولا يترك لأهله وعياله ما يُغنيهم عن سؤال الناس ما في أيديهم، خاصة إن عُلم من حال هذا الإنسان عدم الصبر على الفقر، وتحمل المشاق في الدين.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه – كتاب: التفسير – باب: تفسير سورة الحشر – حديث رقم (٣٩٧٧) (٥٢٦/٢)، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وتعليق الذهبي في التلخيص: "ضعفوه".

فقد وردت أخبار عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في النهي عن التصدق بجميع ما يملكه الإنسان، فقد رُوي عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أنه قَالَ: إِنِّي لَعِنْدَ رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وسلم – إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ بِمِثْلِ الْبَيْضَةِ مِنْ ذَهَبٍ قَدْ أَصَابَهَا مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، خُذْ هَذِهِ مِنِّي صَدَقَةً، فَوَ اللَّهِ، مَا أَصبْحَ لِي مَالٌ غَيْرُهَا، قَالَ: فَأَعْرضَ عَنْهُ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم)، ثُمَّ جَاءَهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَأَخَذَهَا مِنْهُ، فَحَذَفَهُ بِهَا حَذَفَةً لَوْ أَصَابَهُ عَقَرَهُ، أَوْ أَوْجَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: "يَأْتِي أَحَدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ مَا يَمْلِكُ فَيتُصدَّقُ بِهِ، ثُمَّ يَقعُدُ يَتكَفَّفُ النَّاسَ! إِنَّمَا الصَّدَقَةُ عَنْ ظَهْرِ غِنًى. خُذْ عَنَّا مَالَكَ، لا حاجة لنا به"[1]، فكره ذلك في حق من لا يوثق منه بالصبر على الفقر، وخاف أن يتعرض للمسألة إذا فقد ما ينفقه، فأما الأنصار الذين أثنى الله عليهم فلم يكونوا على هذه الصفة، بل كانوا كما قال تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾[2] فكان الإيثار منهم أفضل من الإمساك، والإمساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسألة أولى من الإيثار.[3]

– بيان فضل المدينة المنورة على غيرها من سائر المدن غير مكة المكرمة، وبيان فضل الأنصار على سائر الناس،وقد حرَّم النبي – صلى الله عليه وسلم – ما بين لابتيها، وهما حرتان يكتنفانها، والحرّة كل أرض ذات حجارة سود كأنها محترقة من الحرّ[4] في المدينة، كما حرَّم إبراهيم

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه – كتاب: الزكاة – باب: صدقة التطوع، ذكر الزجر عن أن يتصدق المرء بماله كله ثم يبقى كَلًّا على غيره – حديث رقم (١٦٦/٨)، رجاله ثقات إلا أن فيه تدليس ابن اسحاق. ابن إدريس: هو عبد الله الأودي.

(٢) سورة البقرة الآية (١٧٧).

(٣) ينظر: أحكام القرآن، للكيا الهراسي (٤٠٨/٤).

(٤) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (١٥/٣).

– عليه السلام – مكة، فقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها".(١)

– ذم حب المال الذي يحمل صاحبه على الشح وترك الإنفاق في سبيل الله – تعالى – مع بيان فوز المُنفقين الذين وقوا أنفسهم هذه المرض النفسي الخبيث الذي يدمر صاحبه نفسيًا ومعنويًا في الدنيا، فلا يهنأ له عيش، ولا يهدأ له بال، ويورده موارد الهلاك في الآخرة، فالشحيح تدعوه نفسه لكراهية الإنفاق والمنفقين، فتجعله يكنز المال ولا يؤدي فيها حق الله، وتجعله يرى المُنفقين بلهاء غير عاقلين، فتصير نفسه في صراع دائم وفي حسرة مستمرة، لا ينفق مما أتاه الله، ويتحسر على جود الآخرين وسخائهم؛ لذا كان حقًا على الله – سبحانه وتعالى – أن يجعل ما جمعه وكنزه حسرة ووبالًا عليه في الدنيا، فلا هو انتفع به وتمتع بنِعَمِ الله – عزَّ وجلَّ – عليه، ولم يبتغ فيما آتاه الله الدار الآخرة، فجعل سببًا في إذاقته سوء العذاب، قال – سبحانه وتعالى – :﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥ ﴾.(٢)

– ذكرت الآيات الكريمات صنفًا آخر من صنوف المجتمع الإسلامي المتماسك المتآلف قلوب أبنائه على المودة، الصافية قلوبهم من كل غل وحقد وحسد، الذين يدعون للسابقين منهم إلى الإسلام من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب: البيوع – باب: بركة صاع النبي صلى الله عليه وسلم ومده – حديث رقم (٢١٢٩) (٦٧/٢).

(٢) سورة التوبة، الآيات رقم (٣٤، ٣٥).

المهاجرين والأنصار بالمغفرة، والفوز بالجنان، ويدعون لأنفسهم أن يطهِّرهم الله من أن يضمروا في قلوبهم غِلًّا وحسدًا لهم، فما أقبح أمراض القلوب إذا سرت بين أفراد مجتمع مزقته، وقطَّعت أوصاله، وشتت شمله؛ فيسهل عندئذ السيطرة عليه، وتفكيكه، لكن كانت صفة هؤلاء اللاحقين هي نفسها صفة السابقين من نقاء القلب وسلامة الفطرة، وحب الآخرين كحبهم أنفسهم، وهذا ما يجب أن يكون عليه المجتمع المسلم في كل زمان ومكان.

المقطع الرابع

موالاة المنافقين واليهود بعضهم بعضًا، وذكر بعض صفات اليهود

قَالَ (تَعَالَى) :

﴿ * أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ ﴾

الحشر: ١١ – ١٧

☜ **مناسبة الآيات لما قبلها:**

لمَّا ذكر الله – سبحانه وتعالى – في الآيات السابقة صفات المؤمنين بأقسامهم الثلاثة من المهاجرين وصفتهم، والأنصار والثناء عليهم، ثم من جاء بعدهم وسار على نهجهم من المؤمنين من التابعين إلى أن يرث الله – سبحانه وتعالى – الأرض ومن عليها، بدأ في ذكر صنف جديد من أصناف المجتمع وهم المنافقون، فذكر مثالبهم وموالاتهم لليهود، والكشف عما انطوت عليه سرائرهم، وبيان كذبهم، وسوء أخلاقهم.

☜ **سبب نزول الآيات:**

رُوي عن السدي في سبب نزول الآية أنه قال: "أسلم ناس من أهل قريظة، وكان فيهم منافقون، وكانوا يقولون لأهل النضير: لئن أخرجتم لنخرجن معكم فنزلت هذه الآية فيهم ﴿ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ﴾"[1]، وقال ابن عطية: "هذه الآية نزلت في عبد الله بن أُبي بن سلول ورفاعة بن التابوت، وقوم من منافقي الأنصار كانوا بعثوا إلى بني النضير وقالوا لهم: أثبتوا في معاقلكم فإنا معكم حيثما تقلبت حالكم، وإنما أرادوا بذلك أن تقوى نفوسهم عسى أن يثبتوا حتى لا يقدر محمد عليهم فيتم لهم مرادهم، وكانوا كذبة فيما قالوا من ذلك، ولذلك لم يخرجوا حين أُخرِج بنو النضير، بل قعدوا في ديارهم.[2]

﴿ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾

(١) ينظر: التفسير المنير، لوهبة الزحيلي (٩٥/٢٨).

(٢) ينظر: تفسير المحرر الوجيز، لابن عطية (٢٨٩/٥).

﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ هم: المنافقون من الأنصار، ﴿ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ من يهود المدينة الذين جاءهم وصف النبي – صلى الله عليه وسلم – فكتموه، وأُمروا بالإيمان به فجحدوه، مع أنهم كانوا قبل البعثة النبوية يستفتحون بالنبي – صلى الله عليه وسلم – على الذين كفروا من مشركي مكة، ولكنه دأبهم وعادتهم، في مضادة الحق وأهله، ومعاداة الأنبياء ومخالفتهم؛ لجفاء قلوبهم وسوء أفهامهم.

وأوثر التعبير بالفعل المضارع؛ لما فيه من الدلالة على الاستمرار والتجدد، والتأكيد على أنهم يقولونه مرارًا وتكرارًا، واستحضار صورة القول في ذهن السامعين.

وقد ذكر المفسرون أن المراد بالذين نافقوا هم: جماعة من المنافين، منهم: عبد الله بن أُبي بن سلول رأس النفاق، ووديعة ومالك ابنا نوفل، وسويد، وداعس[1]، وقيل هم: هم عبد الله بن أُبيّ وأصحابه، وقال ابن عباس: رفاعة بن تابوت وعبد الله بن نبتل وأوس بن قيظي.[2]

وقد جاء التعبير بلفظ ﴿ لِإِخۡوَٰنِهِمُ﴾ ؛ للدلالة على أنهم على نفس منهجهم ومعتقدهم، ما فارقوه إلا بألسنهم، أما قلوبهم في عامرة بالكفر، وإضمار الحسد للنبي – صلى الله عليه وسلم – ومن معه من المؤمنين.

﴿ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ﴾

كان المنافقون يوالون اليهود سرًّا، فلمَّا حاصرهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – أرسلوا إليهم أن تحصنوا في بيوتكم وحصونكم، ولا

(١) ينظر: تفسير محاسن التأويل، للقاسمي (١٩١/٩)، والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٨٨/٢٨).

(٢) ينظر: تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي (٥٧/١٤).

تخرجوا منها أبدًا، فنحن معكم، نناصركم ونساندكم، فإن قاتلكم محمد وأصحابه قاتلنا معكم، وكثرناكم، حتى تظهروا عليهم، وإن أخرجوكم من دياركم، تركنا ديارنا وأموالنا وذهبنا معكم، فنحن معكم على كل حال، (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم والله يشهد إنهم لكاذبون)، وإنما وعدوهم بالخروج معهم؛ ليطمئنوا لنصرتهم، فهو كناية عن النصر، وإلا فإنهم لا يرضون أن يفارقوا بلادهم.(١)

وقد علم الله – جلَّ جلاله – كذب المنافقين، وشهد عليهم في أكثر من آية في القرآن الكريم، منها ما جاء في سورة (المنافقون) بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ﴾(٢)، والآية التي معنا ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ﴾، ولمَّا كان الكذب طبعهم الذي جُبلوا عليه، زُيلت الآية بفاصلة بليغة تدل على كذبهم، وتفضح سرهم بين العالمين، فقال – عزَّ وجلَّ – : ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ﴾، فهم كاذبون دائمًا وأبدًا، فالله – عزَّ وجلَّ – مطلع على ما انطوت عليه سرائرهم، ويعلم خائنة أعينهم، وما تخفي صدورهم، فأعلنها واضحة جلية، تصدح بالحق، وشهد الحق على كذبهم، فإذا قال فقوله الصدق، وإذا أخبر فخبره الحق، إنهم لكاذبون، وأكد الجملة الاسمية؛ للدلالة على الثبوت والاستمرار، فهم دائمون على الكذب، فهو دأبهم وديدنهم، فيكشف كذبهم ومكرهم وخداعهم، ويفضح أمرهم بين المؤمنين؛ ليأخذوا حذرهم، ولا يغتروا بهم، إنهم لكاذبون (لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولون الأدبار ثم لا ينصرون)، وكثيرًا ما كان المنافقون يحذرون أن يُنزل الله (عزَّ وجلَّ) – في شأنهم ما يكشف سِتْرهم، ويفضحهم بين الناس، قال – تعالى – :

(١) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٨٨/٢٨).

(٢) سورة المنافقون، الآية رقم (١).

﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ ﴾[1]، هكذا أطلقها واضحة مدوية، قالوا قولًا وأراد الله غيره، ولا راد لقضائه، فهم كذبة في كل ما وعدوا به إخوانهم من المناصرة، والخروج معهم، فإنهم إن خرجوا فلن يخرجوا معهم، ولئن قتلوا، لا ينصرونهم بأي نوع من أنواع النصرة، وإن تمت المناصرة وأيدوهم، فلن تكون لهم الغلبة أبدًا، فيلقي الله – جلَّ جلاله – الرعب في قلوبهم، فيرتدوا على أعقابهم خاسرين؛ لأن الله (تعالى) كتب الغلبة ووعدها رسوله – صلى الله عليه وسلم – قَالَ (تَعَالَى):﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١ ﴾.[2]

﴿ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ﴾ ، هذه حقيقة اليهود، فهم يخافون من المؤمنين وبطشهم أكثر من خوفهم من الله (سبحانه وتعالى)؛ وهذا الأمر يرجع إلى ضعف إيمانهم بالله واليوم الآخر، وأنهم سيرجعون إلى الله – عز وجل – ليحاسبهم على أعمالهم، فجفاء قلوبهم، وغلظة أفهامهم، وعدم إيمانهم إلا بما يقع تحت الحس ويُدرك بالمشاهدة، استل منهم إيمانهم، ونزعهم شعور الخوف والرهبة من الله (تعالى)، وغلب عليهم الخوف من عباد الله، فملأ الله قلوبهم خوفًا وفزعًا، فانهزموا داخليًّا، وخارت عزيمتهم، فسهلت السيطرة عليهم، فالهجوم النفسي الداخلي الذي ينبع من كيان الإنسان، أقوى بكثير من الهجوم الخارجي، فسلط الله عليهم نوازعهم، حتى حملتهم على تخريب بيوتهم بأيدهم، دون غيرهم؛ لأنهم خشوكم في السر أكثر من خشيتهم لله (تعالى)، ولا يجتمع في قلب واحد مخافة الله (تعالى) ومخافة خلقه، إلا كان من أهل النفاق.

ثم ذكر الله – تعالى – العلة في خشية اليهود للمؤمنين أكثر من

(١) سورة التوبة، الآية رقم (٦٤).

(٢) سورة المجادلة، الآية رقم (٢١).

خشيتهم لله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾، فاليهود ما قدروا الله – جلَّ جلاله – حقَّ قدره، وما عظَّموه حق تعظيمه، فما خشوه كما ينبغي لجلاله وكماله، ولو كان عندهم أدنى مسكة من عقل، لعلموا أنه (سبحانه وتعالى) المستحق للخشية دون غيره من عباد الله المؤمنين.

وبعد أن بيَّن الله – تعالى – صفات اليهود وضعفهم، وأكد سوء معاملتهم لله (تعالى)، ونبَّه على قلة أفهامهم وضيق عقولهم، شرع الله – تعالى – في بيان الاستراتيجية التي يتبعها كلٌّ من: المنافقين واليهود إذا اجتمعوا لقتال المسلمين، فبيَّن هيئتها وكيفيتها، فعرَّاهم أمام أنفسهم، وأمام المسلمين لجبنهم وخوفهم، وعجزهم من المواجهة، فقال: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا ﴾ ، أي اليهود والمنافقين لا يجتمعوا معًا لمقاتلتكم، ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ﴾، فإن اجتمعوا لمقاتلكم، لن يكون القتال بالمواجهة بالمبارزة وحمل السيوف، ولكن يكون من وراء حصونهم، أو وهم يحتمون بجُدُرهم، أما المواجهة فلا قِبَلَ لهم بها.

يقول الرازي: يريد أن هؤلاء اليهود والمنافقين، لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين، إلا إذا كانوا في قرى محصنة بالخنادق والدروب، أو من وراء جُدُرٍ؛ وذلك بسبب أن الله ألقى في قلوبهم الرعب، وأن تأييد الله ونصرته معكم.(١)

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ ، أخرج الطبري عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: "تَجِدُ أَهْلَ الْبَاطِلِ مُخْتَلِفَةً شَهَادَتُهُمْ، مُخْتَلِفَةً أَهْوَاؤُهُمْ، مُخْتَلِفَةً أَعْمَالُهُمْ،

(١) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب، للرازي (٢٩/٥١٠).

وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي عَدَاوَةِ أَهْلِ الْحَقّ".[1]

فهم مجتمعون في الحقيقة على عداوة الإسلام وأهله والكيد لهم، أما ما عدا ذلك فاجتماعهم ظاهري، كإيمان المنافقين منهم، إذا اجتمعوا مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن معه أخبروه بأنهم مؤمنون، وإذا انصرفوا نكصوا على أعقابهم خاسرين، وارتدوا إلى دينهم الحقيقي، فتمالؤهم الظاهري على المحبة، واجتماعهم لمقاتلة المؤمنين يعطيهم قوة فيما بينهم، فإذا تمت المواجهة خافوا وجبنوا؛ فهزموا؛ لأن الله – سبحانه وتعالى – كتب في كتابه (ووعده الحق) أن العزة لله ولرسوله والمسلمين، قَالَ (تَعَالَى) : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[2]

وسبب عدم اجتماعهم الباطني: تفرق قلوبهم وعدم اجتماعها على خير، فمكنونات قلوبهم مختلفة، فأنَّى لهم الاجتماع، والمنبع مختلف.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ما فيه صلاحهم، وإن تشتت القلوب يوهن قواهم.[3]

☜ الهدايات المستنبطة من الآيات:

– اجتماع كل من: اليهود والنصارى على بغض الله – سبحانه وتعالى – ورسوله – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين، فمع تفرُّق أمرهم وتشتت شملهم فيما بينهم إلا أنهم يجمعهم هذا المرض القلبي من كره الدين وأتباعه.

– بيان أن المنافقين مبدأهم وديدنهم مخالفة العهود ونقضها، وقد بيَّن النبي – صلى الله عليه وسلم – أن نقض العهد علامة من علامات النفاق،

(١) ينظر: تفسير جامع البيان في تأويل آية القرآن، للطبري (٢٢/ ٥٣٨).
(٢) سورة المنافقون، الآية رقم (٨).
(٣) ينظر: تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٢٠١/٥).

فقد رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: "آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ".(١)

– التحذير من المنافقين وعدم الاغترار بهم، فإنهم لا يريدون إلا فتنة المؤمنين في دينهم، وتلبيس عقيدتهم عليهم، قَالَ (تَعَالَى) :﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾.(٢)

– بيان أن اليهود والمنافقين يخشون الناس (النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين) أكثر من خشيتهم لله (جلَّ جلاله)؛ وذلك لجهلهم وقلة علمهم.

– لا يمكن لليهود مجابهة غيرهم بالسلاح وجهًا لوجه، بل سلاحهم المكر والخديعة، والمؤامرات والمكايدات السرية، وتنفيذها بكل جبن، وقذارة، حتى يصلوا إلى ما يريدون بكل الوسائل، وإن خالفت المعتقد والدين، فهم لا يعرفون عن شرف الحروب شيئًا، وإن كان لا بد من القتال تحصنوا في حصونهم وقلاعهم حتى تكون لهم منعة، ويتم القتال من خلف الجُدُر والبيوت؛ وما هذا إلا لضعف يقينهم بقضيتهم، وعدم إيمانهم باليوم الذي يرجعون فيه إلى الله (عزَّ وجلَّ)، فعندما تنظر إليهم تحسبهم على قلب رجل واحد، وإذا خلوا إلى أنفسهم كان كل منهم في واد، ولكل منهم شرعةٌ ومناهجٌ، وهذه هي صفة اليهود في كل زمان ومكان، قَالَ (تَعَالَى): ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾.(٣)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب: الإيمان – باب: علامة المنافق – حديث رقم (٣٣) (١٦/١).

(٢) سورة آل عمران: الآية رقم (٧٢).

(٣) سورة النساء، الآية رقم (١٠٨).

المقطع الخامس

ضرب الأمثال، والتحذير من مفاوز الشيطان

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ ﴾

الحشر: ١٥ – ١٧

☜ مناسبة الآيات لما قبلها :

تحدثت الآيات السابقة عن وعد المنافقين لليهود بالنصرة، والمؤازرة، فلم يغنوا عنهم من الله شيئًا، فأجلاهم الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وذكر في هذه الآية أن ما حدث معهم، هو عين ما حدث مع يهود بني قينقاع، لمَّا أجلوا من المدينة، وكذلك ما حدث مع المشركين في غزوة بدر لمَّا أخزاهم الله – عز وجل – ونصر دينه ونبيه، فهذه سُنَّة الله ووعده، والله لا يخلف الميعاد.

التفسير الإجمالي:

قَالَ تَعَالَى:﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥﴾

المراد بهم يهود بني قينقاع، الذين أخرجهم الله – تعالى – من ديارهم وأموالهم لمَّا نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكذلك المشركين، وما لقوه من محنة وهزيمة في غزوة بدر الكبرى، فأذاق الله هؤلاء وهؤلاء سوء فعلهم، وجعلهم عبرة لمن يأتي بعدهم، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

ووجه الشبه بين السابق واللاحق، أن الجميع قد اغتروا بمالهم وقوتهم، فتطاولوا على المؤمنين، ونقضوا عهودهم معهم، فكانت عاقبتهما

جميعًا أن أذلهم الله – عز وجل – في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.(١)

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ ﴾

هذا مَثَلٌ آخرُ ضربه الله – سبحانه وتعالى – في عدم الاغترار بالوعود الزائفة، والانصياع للكذَبَةِ والمخادعين، مرضى القلوب والعقول، فمثل المنافقين فيما وقع منهم من إغراء بني النضير على التحصن في حصونهم وبيوتهم، وحثهم على عدم الخروج من المدينة، ووعدهم إما النصرة أو الخروج معهم، وقد انخدع بنو النضير بهذه الوعود الزائفة البراقة، وساروا تجاه سراب لا وجود له حقيقة إلا في خيالات حلفائهم المريضة، فلا هم نصروهم ولا خرجوا معهم، كمثل الشيطان، في تزيينه وتربصه بالإنسان الدوائر، حتى إذا وقع فيما زيَّنه له من معصية الله – تعالى – والكفر والخروج عن طاعته، بعد أن وعده النصرة والمؤازرة والمساندة، تبرأ منه، وتعلل بالخوف من الله – تعالى – كذبًا وافتراءً على الله، فكما لم ينفع بنو النضير وعد المنافقين، فكذلك لا ينفع الإنسان بعد ارتكابه للمعاصي والكفر بالله وعد الشيطان؛ لأنه مدَّعٍ كاذبٌ كما قال(عزَّ وجلَّ): ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ

(١) ينظر: التفسير الوسيط، لسيد طنطاوي (٣٠٦/١٤).

ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾[1]

﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

الضمير في قوله: (عاقبتهما) يعود على كل من الفريقين: (اليهود والمنافقين، والشيطان) ومن أغروهم حتى تركوا عهد الله، فالإنسان الذي يكفر بالله – جلَّ جلاله – ليس له إلا النار خالدًا فيها، قال – تعالى – : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[2]، فالكفرة مخلدون في النار بنص الآية السابقة سواء أكانوا كفارًا أصليين، أم تاركين دينَهُم مفارقين للجماعة.

☜ **الهدايات المستنبطة من الآيات :**

– التحذير من الشيطان وطُرُقه، وعدم الاغترار بوعده، فهو أول المتنصلين من متبوعيه يوم القيامة، وحينئذ لا تنفعهم شفاعة الشافعين، يقول – سبحانه وتعالى – مبيناً حال الشيطان مع أتباعه يوم القيامة: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ ﴾

– بيان سوء عاقبة الذين يُوالون غير المؤمنين سواء أكانوا منافقين، أم أتباعًا للشيطان، فجعل الله (عزَّ وجلَّ) عاقبتهم النار خالدين فيها، فيا له من سوء خاتمة للذين باعوا الآخرة واشتروا بها ثمنًا قليلًا.

(١) سورة إبراهيم، الآية رقم (٢٢).

(٢) سورة النساء، الآية رقم (٤٨).

المقطع السادس

الأمر بالتقوى، والتحذير من سلوك مسالك الشيطان

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾ الحشر: ١٨ – ٢١

☜ **مناسبة الآيات لما قبلها :**

لمَّا ختمت الآيات السابقة بالتحذير من الشيطان، وبيان كذبه في مدعاه، وتبرُّئه ممن يحول بينهم وبين عبادة ربهم، وبيَّن أن كلًّا من: التابع والمتبوع في نار جهنم خالدًا فيها، وجَّه في هذه الآيات أنظار عباده المؤمنين إلى تقواه، والعمل ليوم الحساب، وحذرهم من سلوك طريق من سبقهم من أمثال الذين أشار إليهم من المنافقين واليهود، فقد نسوا الله خالقهم ورازقهم، فأنساهم أنفسهم؛ وكتب عليهم الشقاء في الدنيا والآخرة فأصبحوا من أصحاب النار، ثم وجَّههم إلى الاعتبار بالقرآن وما فيه من عِبَرٍ وعظاتٍ.

☜ **التفسير الإجمالي:**

يدعو الله – سبحانه وتعالى – عباده المؤمنين إلى التزام تقواه، والسير على منهجه، وذلك بتذكيرهم بجملة من الأوامر التي لا بدَّ من أن يجعلوها منهجًا ودينًا يسيرون عليه، منها:

١– الأمر بتقوى الله – تعالى – والحث عليه :

قَال (تَعَالَى): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾، من كمال إيمان

المؤمنين يقينهم باليوم الآخر، فوجَّه الله (عزَّ وجلَّ) عقولهم وقلوبهم إلى أن العمل لهذا اليوم هو ما يجب أن تُصرَفَ فيه الأعمار، ويَهُونَ من أجله تحمل المشاق؛ ويُبذلَ للنجاة فيه الغالي والنفيس.

والمتأمل في هذه الآية الكريمة يجد أن الله – جلَّ جلاله – خصَّ المؤمنين بالأمر بالتقوى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ ؛ لانتفاعهم بها دون غيرهم، ولتكون حثًّا لهم على التزود منها؛ فإنها خير زَادٍ، كما قال (سبحانه وتعالى): ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾[1]، ولا تكون إلا لأصحاب العقول الذين هداهم الله – تعالى – واجتباهم.

٢– التذكير باليوم الآخر والاستعداد له :

أمَّا الأمر بالنظر في قوله (عزَّ وجلَّ): ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ ﴾ ، فالخطابُ لعموم الأنفس مؤمنهم وكافرهم، فالنظر ليس مقصورًا على نَفْسٍ دون نَفْسٍ، فالكلُّ مَدْعُوٌّ إلى أخذ الحَيْطَة والحَذَر، فكان الخصوص للإشفاق، والعموم للتحذير.[2]

و(لغد): يوم القيامة، سماه الله – جلَّ جلاله – باليوم الذي يلي يوم الإنسان تقريبًا له، وعن الحسن: لم يزل يقربه حتى جعله كالغد. ونحوه قوله (تعالى): ﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِۚ ﴾ [3]، يريد: تقريب الزمان الماضي. وقيل: عبَّر عن الآخرة بالغد، كأن الدنيا والآخرة نهاران: يوم وغد.[4]

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم (١٩٧).

(٢) ينظر: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٥٢/٨).

(٣) سورة يونس، الآية رقم (٢٤).

(٤) ينظر: تفسير الكشاف، للزمخشري (٥٠٨/٤).

ويحتمل أن يكون المراد بالغد هو يوم موت كل إنسان، ونهاية أجله، فهو قريب، وفي ذلك حثٌّ لعدم الركون إلى الدنيا وطول الأمل، وفي هذا دعوة إلى محاسبة النَّفْس وتقويمها على ما فرَّطت في جنب الله، فتنظر في أعمالها إنْ كانت خيرًا استزادت منه، وإن كانت غير ذلك، تابت إلى الله وأنابت، وصححت مسيرتها إلى الله (عزَّ وجلَّ) بالتلبس بالأعمال الصالحة.

فقد أخرج الحاكم في مستدركه عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): " الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)".(١)

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ كرر الله – عزَّ وجلَّ – الأمر بالتقوى؛ تأكيدًا وحثًّا على التزام مُوجباتها، التي تجعل العبدَ في منعةٍ ووقايةٍ من عذابه وعقابه، فالإنسان إنْ جعل تقوى الله – تعالى – نُصْبَ عينيه، وهمَّه الشاغل، وغايته ومراده، هانت عليه المشاقُ، وفاز في الدَّارَيْن.

وللدلالة على عِظَمِ هذا اليوم ومهابته، وإن ما يحدث فيه لا يُدرك الإنسان كنهه، ولا سبيل له إلى معرفة ما يحدث فيه على وجه الحقيقة، جِيء بلفظ (غد) نكرة؛ ليدل على التعظيم والإبهام.(٢)

ومما يجب لفت الأنظار إليه أن الحثَّ على العمل للآخرة ليصل الإنسان إلى مبتغاه، ليس الغرض منه أن يزهد في الدنيا، ولا يستمتع بما فيها من نِعَمِ الله (تعالى)، وليست دعوةً إلى الرُّكون وترك العمل الدنيوي

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه – كتاب: التوبة والإنابة – حديث رقم (٧٦٣٩) (٢٧٠/٤)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" (التعليق – من تلخيص الذهبي) ٧٦٣٩ – صحيح.

(٢) ينظر: التفسير الواضح، لمحمود حجازي (٦٥٢/٣).

الذي هو مناط خلافة الله (عزَّ وجلَّ) في أرضه، وقصر عمله على العبادات الروحية فقط، بل على الإنسان الراشد أن يوازن بين دنياه وآخرته، فيجعل الدنيا وما فيها من نِعَمِ الله – تعالى – عليه سبيًلا موصلًا للآخرة، يقول – تعالى – :﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾[1]، ويؤكد هذا ما رُوي عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ يُرَافِقُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ رُفَقَاءَ، فَجَاءَتْ رُفْقَةٌ يَهْرِفُونَ بِرَجُلٍ يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ فُلَانٍ، إِنْ نَزَلْنَا فَصَلَاةٌ، وَإِنْ رَكِبْنَا فَقَرَاءَةٌ، وَلَا يُفْطِرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ كَانَ يَرْحَلُ لَهُ؟ وَمَنْ كَانَ يَعْمَلُ لَهُ؟" وَذَكَرَ سُفْيَانُ أَشْيَاءَ، فَقَالُوا: نَحْنُ، فَقَالَ: "كُلُّكُمْ خَيْرٌ مِنْهُ".[2]

فقد نبَّــه اللهُ عبــادَهُ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ ، أي بجميع ما يعمل الإنسان خيره وشره، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، فجميــع مــا يعمــل الإنسان في كتاب عند الله لا يضيع، فنبه الإنسان إلى هذا إذ اجتهد فــي عمله، وأجاد، وسعى وتوكل، وتذكر اليوم الآخر، وجعله نُصْبَ عينيــه، فيجعل همَّه ما عند الله من الثواب المقيم في يوم القيامة.

٣- الجزاء من جنس العمل :

بعد أن أمر الله – عزَّ وجلَّ – عباده بتقواه، والعمل ليوم القيامــة، نهاهم وحذرهم عن السير في طريق السابقين ممــن نســوا الله (تعــالى) فأنساهم أنفسهم، نسوا الله: بنسيان حقه عليهم، نسوا نعمَــهُ، فلــم يــؤدوا شكرها، وجعلوا نِعَمَ الله عليهم طريقًا موصلًا لظلم الناس، وغمط حقوقهم،

(١) سورة القصص، الآية رقم (٧٧).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سُنته – باب: جامع الشهادة – حديث رقم (٢٩١٩) (٣٨٠/٢).

والاستكبار عليهم.

﴿ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾، ونسيانهم لأنفسهم، تمثل في عدم امتثال أوامره (تعالى) : ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ ﴾.(١)، فلمَّا قصرت هممهم، وركنوا إلى ملذاتهم؛ أذاقهم الله – تعالى – يوم القيامة من أصناف العذاب ما نسوا به أنفسهم، جزاءً وفاقًا، وكل امرئ بما كسب رهين.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ المنحرفون عن طريق الحق، الخارجون عن طاعة الله (تعالى).

٤- ضرب المثل بـ(أصحاب النار وأصحاب الجنة) في عدم التساوي والمماثلة:

انتقلت هذه الآية إلى بيان جزاء من لم يمتثل أمر الله – تعالى – ولم يجتنب نهيه، من الذين لم يتقوا الله ولم يعملوا للآخرة، الذين انغمسوا في حب الدنيا وشهواتها، انغماسًا أفقدهم طريق الله، فهاموا على وجوههم في الدنيا بغير دليل يرشدهم، ولا طريق يوصلهم إلى رضاه (تعالى)، نسُوا ربهم فسلَّط عليهم الدنيا وما فيها، ونسيهم الله (تعالى)، هؤلاء هم أصحاب النار هم فيها خالدون، وحذَّر المؤمنين من سلوك طريقتهم، والسير على نهجهم، فقال تعالى :﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ ﴾

لا يستويان طبيعةً وحالًا، ولا طريقًا ولا سلوكًا، ولا رجعةً ولا مصيرًا، فهما على مفرق طريقين لا يلتقيان أبدًا في طريق، ولا يلتقيان أبدًا في سِمَة، ولا يلتقيان أبدًا في خطة، ولا يلتقيان أبدًا في سياسة، ولا يلتقيان أبدًا في صف واحد في دنيا ولا آخرة ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ ﴾ يثبت مصيرهم، ويدع مصير أصحاب النار مسكوتًا

(١) سورة الإسراء، الآية رقم (١٩).

عنه. معروفا. وكأنه ضائع لا يعني به التعبير! [1]

والحكمة من تقديم أصحاب النار في الذكر؛ للإيذان من أول الأمر بأن القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء، من جهتهم، لا من جهة مقابليهم.[2]

ولعِظَمِ هذه الآيات وأثرها في نفوس السامعين، خطب بها النبي – صلى الله عليه وسلم – وقرأها على المنبر، لمَّا قدم عليه أولئك النفر من مضر وهم حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابو النِّمَارَ. عَلَيْهِمُ الْعَبَاءُ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، قَالَ: فَرأيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ، تَغَيَّرَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَقْرِ قَالَ: فَقَامَ، يَعْنِي فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ، فَأَقَامَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ خَطَبَ، فَقَالَ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [3] ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾[4] إِلَى قَوْلِهِ (تَعَالَى): ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ ، تَصَدَّقَ امْرؤٌ مِنْ دِينَارِهِ وَمِنْ دِرْهَمِهِ، وَمِنْ صَاعِ بُرِّهِ وَمِنْ صَاعِ تَمْرِهِ وَمِنْ ثَوْبِهِ، حَتَّى ذَكَرَ شِقَّ التَّمْرَةِ؛ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَجَاءَ بِصُرَّةٍ قَدْ كَادَتْ كَفُّهُ أَنْ تَعْجِزَ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ كَفُّهُ عَنْهَا، فَدَفَعَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، وَقَالَ: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ

(١) في ظلال القرآن الكريم، لسيد قطب (٣٥٣١/٦).
(٢) ينظر: تفسير محاسن التأويل، للقاسمي (١٩٥/٩).
(٣) سورة النساء، الآية رقم (١).
(٤) سورة الحشر، الآية رقم (١٨).

شَيءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَلَهُ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ".(١)

٥- توبيخ الناس على قسوة قلوبهم، وتركهم الانتفاع بما في القرآن من عِبَر وعظات:

يقول – تعالى – : ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾

هذا مَثَلٌ ضربه الله – تعالى – للقاسية قلوبهم من بني البشر الذين لا يخشعون ولا يتدبرون معاني القرآن الكريم، الذي أنزله الله – عزَّ وجلَّ – لهدايتهم، وجعله نبراسًا يُضيء لهم الطريق بما اشتمل من أوامر ونواهي، ووعد ووعيد وبيان للحلال والحرم، فلم ينتفعوا بما فيه، ولم يلقوا له أسماعهم، ولا تدبروا معانيه، فإن الله – عزَّ وجلَّ – لو أنزله على الجبال مع عظمتها وقوتها، وخلق الله فيها من الإدراك والتمييز لفهم القرآن الكريم ومعانيه؛ لتصدَّعت ولانت من خشية الله (جلَّ جلاله)؛ وذلك لعظمة القرآن الكريم وما فيه من معان سامية.

وما ذلك على الله بعزيز، فقد حنَّ الجزع في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – وبكى بكاء الأطفال؛ لما تركه النبي وصعد المنبر، حنينا منه واشتياقا لما كان يُتلى عليه من آيات القرآن الكريم.

قال ابنْ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – في قَوْلِهِ: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ ﴾، أي: لَوْ أَنِّي أَنْزَلْتُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ حَمَّلْتُهُ إِيَّاهُ تَصدَّعَ وَخَشَعَ مِنْ ثِقَلِهِ وَمِنْ

(١) ينظر: مختصر صحيح مسلم، للمنذري – كتب: الزكاة – باب: الحث على الصدقة على ذوي الحاجة، وأجر من سنّ فيها سنة حسنة، حديث رقم (٥٣٣) (١٤٥).

خَشْيَةِ اللَّهِ، فَأَمَرَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) النَّاسَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيهِمُ الْقُرْآنَ، أَنْ يَأْخُذُوهُ بِالْخَشْيَةِ الشدَّيدَةِ وَالتَّخَشُّعِ، قَالَ: (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ).(١)

يقول البغوي: لو جعل في الجبل تمييزًا، وأنزل عليه القرآن؛ لخشع وتشقق وتصدع من خشية الله مع صلابته ورزانته؛ حذرًا من أن لا يؤدي حقَّ الله (عزَّ وجلَّ) في تعظيم القرآن، والكافر يُعرِض عما فيه من العِبَرِ كأن لم يسمعها، يصفه بقساوة القلب، (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون).(٢)

☜ **الهدايات المستنبطة من الآيات :**

وجوب الإيمان باليوم الآخر إيمانًا يقينيًا جازمًا لا يقبل الشك، فهو واقع لا محالة؛ لذا يجب على كل إنسان أن ينظر في أعماله، ويحاسب نفسه قبل موته، ويتوب إلى الله – سبحانه وتعالى – من ذنوبه؛ حتى يكون من الفائزين في الدنيا والآخرة، فالإيمان باليوم الآخر أساس كل خير، والكفر به وإنكاره أو الشك في وقوعه أساس كل شَرٍّ؛ لأنه يؤدي إلى الطغيان في الظلم، والإسراف في المعاصي، فلا رقيب ولا محاسب في ظنهم، فما الحياة عند هؤلاء إلا الحياة الدنيا كما أخبر الله (تعالى) عنهم: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩﴾(٣)

فضل ذكر الله (جلَّ جلاله) على سائر الأعمال:

إنَّ ذكر الله – تعالى – يخلق في النفس حالة إيمانية وروحانية عالية، تطهِّر النفس مما علق بها من أدران الحياة المادية البحتة، وتسمو

(١) ينظر: تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٥٤٩/٢٢).
(٢) ينظر: معالم التنزيل في التفسير، للبغوي (٦٦/٥).
(٣) سورة الأنعام، الآية (٢٩).

به فوق عالم البشر، فتحلِّق به في سماء الحب لله – تعالى – فيصير الذاكر في حالة أقرب إلى الحالة الملائكية منها إلى البشرية، فيخرج بعدها كأنه وُلِدَ من جديد، رقيق القلب، خفيف الروح، فالذاكرون في معية الله – سبحانه وتعالى – يشملهم بعطفه ورضوانه، وتحفهم الملائكة، وتتنزل عليهم السكينة، فما إن قاموا من مجالسهم إلا وقد تجدد إيمانهم، وسمت نفوسهم، وتسلحوا بقوة إلهية نورانية تعينهم على دينهم ودنياهم.

فالذَّكْرُ يزيد الإيمان وينميه، ويُعلي من شأن المؤمن في الدنيا والآخرة، وقد كان الصحابة، يدفعون بعضًا دفعًا، ويتنافسون في ذكر الله (تعالى)؛ لمَّا علموا من أن الذِّكر سبب في أن يذكر الإنسان في الملأ الأعلى عند الله – عزَّ وجلَّ – فما أعظمها من منحة، وما أجزاه من شرف، عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما يحكي عن ربه (عَزَّ وَجَلَّ) أنه قال: "من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ من الناس ذكرته في ملأ أكثرُ منهم وأطيب"(١)، فذِكْرُ الله – تعالى – يصلح في النفس ما أفسدته مشاغل الحياة، فيصفوا كدره، ويذهب غيظه، ويلين قلبه، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله، الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم في الدنيا والآخرة، وبعثهم يوم القيامة عمياناً؛ لتناسيهم آيات الله – تعالى –: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾(٢)، فما أحوجنا إلى ذِكْرِ الله – سبحانه وتعالى – ذكرًا يطهِّر نفوسنا، ويجدد إيماننا، ويسمو بنا فوق علائق المادة، فنشرف بمعيَّته (جلَّ جلاله)، ونُذكَر في

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده – مسند أبي هريرة – حديث رقم (٨٦٣٥) (٣٧٧/٨)، وقال أبو نُعيم في حلية الأولياء (١١٧/٧): "صحيح من حديث الأعمش رواه شعبة وعبد الواحد بن زياد وأبو معاوية وجرير وغيرهم لم نكتبه من حديث فضيل إلا من حديث حسين بن علي الجعفي".

(٢) سورة طه، الآية رقم (١٢٥، ١٢٦).

الملأ الأعلى في الدنيا، ونفوز بجنات النعيم، وننعم برؤية وجهه الكريم في الآخرة.

– بيان عدم استواء أصحاب النار وأصحاب الجنة، لا في الدنيا ولا في الآخرة، فقد كتب الله (تعالى) على أهل النار عدم الاهتداء إلى نور الله (تعالى) وما نزل من الحق في الدنيا مصداقًا لقوله – تعالى –: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ ﴾[1]، فقد كتب الله عليهم الشقاء؛ لعلمه بطبائعهم وسوء أخلاقهم وتكبرهم عن قبول الحق، وفي الآخرة أعدَّ الله لهم عذاب النار خالدين فيها، وبئس المصير، (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غَمٍّ أُعيدوا فيها)، أما أصحاب الجنة فقد فازوا بالنعيم المقيم في جنات النعيم، بصحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا، ولكمال تنعمهم وتلذذهم في الآخرة يتجلى الله لهم يوم القيامة فيرونه كما يرون القمر ليلة البدر، رؤية تليق بجلاله وكماله، فهم الفائزون المنعَّمون النعيم الأبدي لا ينقطع ولا يتحول عنهم ما شاء الله (تعالى).

– تحذير المؤمنين من قسوة القلوب المترتبة على ترك الانتفاع والاهتداء بالقرآن الكريم المترتب على ترك قراءته وتلاوته، فينبغي الحذر من نسيان ذكر الله كما فعل السابقون؛ فيصرون إلى ما صاروا إليه، مع التنبيه بقسوة وشدة في لفت الانتباه إلى أن الجمادات (منها: الجبال العِظَام)، لو أنزل الله عليها القرآن لخشعت ورقَّت ولانت، فكيف الحال بكم؟

(١) سورة البقرة، الآية رقم (٦).

المقطع السابع

التقرُّب إلى الله بمعرفة أسمائه الحسنى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

الحشر: ٢٢ – ٢٤

☜ **مناسبة الآيات لما قبلها :**

لمَّا دعا الله – تعالى – الخلق إلى التفكر في القرآن الكريم؛ ليصلوا إلى خشيته (تعالى)، فتلين قلوبهم وجلودهم من ذكره (سبحانه وتعالى)، ذَكَرَ في هذه الآيات بعض أسمائه الحسنى، التي يجب على العبد معرفته (جلَّ جلاله) بها؛ فتصير سببًا من أسباب خشيته، فمن كان رحمنَ رحيمًا، عالمًا للغيب والشهادة خالقًا بارئا مصورًا، من كان هذا حاله وهذه أسماؤه كيف لا يُتقى حق تقاته، ويُفرد بالعبادة، ويُتوجَّه إليه بالكلية في السراء والضراء، في السر والعلانية، أفرادًا وجماعاتٍ.

☜ **التفسير الإجمالي :**

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾، فالذي يتصدع من خشيته الجبل أيها الناس، هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والألوهية إلا له، عالم غيب السموات والأرض، وشاهد ما فيهما مما يرى ويحس. ﴿ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ يقول: هو

رحمن الدنيا والآخرة، رحيم بأهل الإيمان به.[١]

وقد اشتملت هذه الآية في قول كثير من المفسرين على اسم الله الأعظم، وهو ﴿ ٱللَّهُ﴾ فقد أخرج بن أبي حاتم في تفسيره عن جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّهُ قَالَ: اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ هُوَ اللهُ، أَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّهُ يَقُولُ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾.[٢]

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ أي: لا معبود بحق غيره. ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ ﴾ الْغَيْبِ المعدوم وَالشَّهادةِ الموجود المدرك كأنه يشاهده. وقيل: ما غاب عن العباد وما شاهدوه. وقيل: السر والعلانية. وقيل: الدنيا والآخرة.[٣]

﴿ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ والمراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.[٤]

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ ٱلْمَلِكُ﴾ أي: الذي لا ملك فوقه،﴿ ٱلْقُدُّوسُ﴾ اختلفت عبارات المفسرين في المراد به، فقيل: هو المبارك، وقيل: المطهر مما نُسب إليه[٥] من كل عيب ونقص.

---

(١) ينظر: تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٢/٥٥٠).
(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (٢/٥٨٥) أثر رقم (٣١٢٢).
(٣) ينظر: تفسير الكشاف، للزمخشري (٤/٥٠٩).
(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/٧٩).
(٥) ينظر: تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (١١/٧٤١٠).

﴿ ٱلسَّلَمُ﴾ الذي سَلِمَ من النقائص، ﴿ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ ، قال ابن عباس: هو الذي أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه، هو من الأمان الذي هو ضد التخويف كما قال: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾ (١) (٢)، وقيل: معناه المصدق لرسله بإظهار المعجزات، والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب، وللكافرين بما أوعدهم من العقاب.(٣)

﴿ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ ورد في معناه أربعة أقوال:

الأول: أنه الشهيد، فالله الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل.

الثاني: أنه الأمين، قاله الضحاك، قال الخطابي، وأصله مؤمن فقلبت الهمزة هاء؛ لأن الهاء أخف عليهم من الهمزة.

الثالث: المصدق.

الرابع: أنه الرقيب على الشيء والحافظ له.(٤)

﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾، الذي لا يغلب، والقاهر الذي لا يقهر، يقال: عزيز إذا غلب برفع العين في المستقبل. قال الله (تعالى): ﴿ وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ۝٢٣ ﴾(٥)، أي غلبني، وفي المَثَل: (مَنْ عَزَّ بَزَّ)، أي: من غلب سلب، والْجَبَّارُ هو الذي لا يدانيه شيء ولا يلحق رتبة.(٦)

---

(١) سورة قريش، الآية رقم (٣).

(٢) سورة قريش، الآية رقم (٤).

(٣) ينظر: معالم التنزيل في التفسير، للبغوي (٦٦/٥).

(٤) ينظر: تفسير زاد المسير، لابن الجوزي (٢٢٦/٨).

(٥) سورة ص، الآية رقم (٢٣).

(٦) ينظر: تفسير المحرر الوجيز لابن عطية (٢٩٢/٥).

﴿ ٱلْجَبَّارُ ﴾ ورد في معناه أقوال، أحدها: أنه العظيم، الثاني: أنه الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما يريد، الثالث: أنه الذي جبر مفاقر الخلق وكفاهم أسباب المعاش والرزق، الرابع: أنه العالي فوق خلقه.(١)

﴿ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ ، فقد ورد في المراد خمسة معان :

أحدها: أنه الذي تكبر عن كل سوء، الثاني: أنه الذي تكبر عن ظلم عباده، الثالث: أنه ذو الكبرياء وهو الملك، الرابع: أنه المتعالي عن صفات الخلق، الخامس: أنه الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فقصمهم، والتاء في المتكبر تاء التفرد والتخصيص؛ لأن التعاطي والتكلف والكبر لا يليق بأحد من المخلوقين، وإنما سمة العبد الخضوع والتذلل، وقيل إن المتكبر من الكبرياء الذي هو عظمة الله لا من الكِبْرِ الذي هو مذموم في الخلق.(٢)

يقول الرازي: واعلم أن المتكبر في حق الخلق اسم ذم؛ لأن المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر، وذلك نقص في حق الخلق؛ لأنه ليس له كبر ولا علو، بل ليس معه إلا الحقارة والذلة والمسكنة، فإذا أظهر العلو كان كاذبًا، فكان ذلك مذمومًا في حقه، أمَّا الحقُّ (سبحانه) فله جميع أنواع العلو والكبرياء، فإذا أظهره فقد أرشد العباد إلى تعريف جلاله وعلوه، فكان ذلك في غاية المدح في حقه (سبحانه)، ولهذا السبب لمَّا ذكر هذا الاسم قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾، فالمخلوقون قد يتكبرون ويدعون مشاركة الله في هذا الوصف، لكنه (سبحانه) منزَّهٌ عن التكبر الذي هو حاصل للخلق؛ لأنهم ناقصون بحسب ذواتهم، فادعاؤهم الكبر يكون ضم نقصان الكذب إلى النقصان الذاتي، أمَّا الحقُّ (سبحانه) فله العلو والعزة، فإذا أظهره كان ذلك ضم كمال إلى كمال، فسبحان الله

(١) ينظر: تفسير زاد المسير، لابن الجوزي (٢٢٧/٨).
(٢) ينظر: تفسير زاد المسير، لابن الجوزي (٢٢٨/٨).

عمَّا يشركون في إثبات صفة المتكبرية للخلق.(١)

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ﴾: المقدر للأشياء على مقتضى حكمته، البارئ، الموجد لها بريئًا من التفاوت.(٢)

﴿ ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ معناه: أنه يخلق صور الخلق على ما يريد، وقدَّم ذكر الخالق على البارئ؛ لأن ترجيح الإرادة مقدمٌ على تأثير القدرة. وقدَّم البارئ على المصور؛ لأن إيجاد الذوات مقدمٌ على إيجاد الصفات.(٣)

﴿ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾؛ لأنها دالة على محاسن المعاني.

﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾؛ لتنزهه عن النقائص كلها، ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾ الجامع للكمالات بأسرها، فإنها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم.(٤)

☜ **الهديات المستنبطة من الآيات :**

– وجوب التوجه إلى الله (تعالى) بالعبادة، وإفراده بالتوحيد، وذكره بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلى، مع الاعتراف بالعجز والافتقار إليه (سبحانه) في جميع الأحوال.

– وجوب انتظام الإنسان مع سائر المخلوقات في تسبيح الله (تعالى) وتنزيهه عن كل ما لا يليق به، فيصير الكون كله علويه وسفليه، شاهدًا لله

(١) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب، للرازي (٢٩/٥١٤).
(٢) ينظر: تفسير أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، للبيضاوي (٥/٣٢٤).
(٣) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب، للرازي (٢٩/ ٥١٤).
(٤) ينظر: تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٥/٣٢٤).

(تعالى) بالكمال والجلال.

– ذكر الله (تعالى) بأسمائه وصفاته، لا بد وأن تكون على بصيرة، فينبغي للذاكر أن يتعرف معاني هذه الأسماء، وبيان ما تحمله من صفات ودلائل تدل على تفرُّد الله (تعالى) عن خلقه ومباينته لهم، فهو المستحق للعبادة، لا ينازعه فيها أحد، فيجتمع للذاكر ذكر اللسان والقلب معًا، وهذا أعلى مراتب الذِّكْرِ؛ حضور القلب وانشغاله بالله (تعالى).

– من مقتضيات التوحيد التوجه إلى الله – تعالى – والاعتراف له بالعزة والحكمة المقتضية انتقامه من العصاة المتمردين على خلقه، الخارجين عن دينه؛ لذا خُتمت السورة الكريمة بما افتتحت به، والتذكير بكون الله (تعالى) عزيزًا حكيمًا.

- **الخاتمة :**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد أتم الله عليَّ بإنهاء هذا البحث الذي وفقني الله –تعالى– من خلاله إلى بيان أخلاقيات اليهود في تعاملهم مع الله –تعالى– ورسله، من مخالفتهم لأمره وتلكؤهم في طاعته، وعدم تقديرهم ذاتَ اللهِ (تعالى)؛ الأمر الذي جعل الله يُخزيهم ويلقي في قلوبهم الخوف والفزع، فأجلاهم وأخرجهم من ديارهم صاغرين خائفين، مع بيان حكم ما أُخِذ من مالهم بغير قتال، وتقسيمه على من اختصهم الله (تعالى) به من فئات المجتمع المسلم، ورضي الأنصار بذلك؛ فاستحقوا ثناء الله –عليهم – مع بيان جواز الترحم على الصحابة والدعاء لهم، وبيان خطورة النفاق والمنافقين وأضرارهم على المجتمع المسلم، وكذلك بيان ضعفهم وتفرق أمرهم، مع التحذير من الشيطان أول عدو لبني البشر، والتحذير من اتِّباعه، مع التنبيه على فضل ذكر الله (تعالى)، والتقرُّب إليه بأسمائه وصفاته؛ لكي ينتظم الإنسان مع غيره من المخلوقات التي تسبِّح الله (تعالى) إلى غير ذلك من القضايا في ضوء دراسة تفسيرية موضوعية.

وقد أثمرت الدراسة عن مجموعة من النتائج، منها :

- سورة الحشر من السور المدنية التي عُنيت (كما عُني القرآن المدني) بالحديث عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى والكشف عن مساوئهم.
- الصورة التي أبرز الله (تعالى) بها أخلاقيات اليهود جعلتهم أسوء الفئات التي مُنِيَ بها المجتمع المسلم؛ لمخالفتهم الصريحة لأوامر الله (تعالى)، وعصيانهم رسلَهُ.
- الفيء مِنَّةٌ مَنَّ الله (تعالى) به على المؤمنين، وتولى تقسيمه بينهم

بنفسه.

- بيان فضل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والحثُّ على السير على نهجهم.
- الانصياع لأوامر الله (تعالى)، والمسارعة إلى الطاعة ترفع قَدْرَ الإنسان في الدنيا والآخرة، وظهر ذلك واضحًا جليًّا لمَّا رضي الأنصار بحكم توزيع الفيء، وجعله في فقراء المهاجرين؛ فاستحقوا ثناء الله (تعالى) عليهم.
- بيان فضل المدينة المنورة على غيرها من الأماكن غير مكة المكرمة.
- فضل الترحم على الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم)، وذكرهم بالخير والدعاء لهم.
- التحذير من المنافقين وأفعالهم، وعدم الاغترار بأقوالهم .
- فضل ذكر الله (تعالى) على سائر الأعمال مع التنبيه على أهمية تنزيه الله (تعالى) عمَّا لا يليق بجلاله، والتقرب إليه (تعالى) بمعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العُلى.

فهرس المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: ٩١١ هـــ)، تحقيق: سعيد المندوب، ط: دار الفكر- بيروت (١٤١٦ هـ).
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للقاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ت (٩٨٢ هـ)، خرَّج أحاديثه وعلق عليه وضبطه ووضع فهارسه الشيخ: محمد صبحي حلاق، ط: دار الفكر – بيروت – الأولى (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م).
- الأساس في التفسير، لسعيد حوّى (المتوفي ١٤٠٩ هـ)، ط: دار السلام – القاهرة. السادسة، (١٤٢٤ هـ).
- أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفي: ٤٦٨ هـ)، ط: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، (سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م).
- أسرار ترتيب القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: ٩١١ هـ)، ط: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، بدون طبعة، وبدون تاريخ.
- أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، لأبي بكر جابر الجزائري، ط: دار السنة للتوزيع – الثانية (١٤١٩ هـ).
- البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ت (٧٥٤هـ) ط: دار الفكر – بيروت (١٤١٢ هـ - ١٩٩ م).
- التبيان في تفسير غريب القرآن، لأحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفي: ٨١٥ هـ) تحقيق: د. فتحي أنور الدابولي، ط: دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة –

الأولى (١٩٩٢).
- التحرير والتنوير، لسماحة الأستاذ العلامة الشيخ: محمد الطاهر بن عاشور ط: الدار التونسية للنشر والتوزيع – بدون طبعة وبدون تاريخ.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، ط: مكتبة دار التراث العربي – القاهرة بدون تاريخ.
- تفسير القرآن العظيم مسندًا إلى رسول الله والصحابة والتابعين، لأبي حاتم عبد الرحمن بن إدريس الرازي ت (٣٢٧ هـ)، تحقيق: أسعد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – (١٤١٩ هـ).
- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن ابن ناصر السعدي، ت: (٣٧٦ هـ) تحقيق: محمد زهري النجار، ط: دار الكتب – بيروت ط: الثانية (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).
- تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى (١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م).
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهاج، تأليف: ط وهبة الزحيلي.
- تفسير غريب القرآن، لكاملة بنت محمد بن حاسم بن علي آل جهام الكواري، ط: دار بن حزم – الأولى (٢٠٠٨ م).
- جامع البيان عن تأويل آية القرآن، لأبي جعفر بن جرير الطبري، دار الفكر – بيروت، ضبطه ووثقه: صدقي جميل العطار، طبعة دار الفكر – بيروت (١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م).
- الجامع الصحيح لسنن الترمذي، لمحمد بن عيسى – أبو عيسى – الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م).

- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت (٦٧١ هـ) قدَّم له فضيلة الشيخ: محي الدين لميس، ضبطه ومراجعة على الأصول: صدقي جميل العطار، خرَّج أحاديثه الشيخ عرفات العشا، ط: دار الفكر – بيروت – الأولى (١٤١٩ هـ-١٩٩٩م).

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ت (١٢٧٠ هـ) قرأه وصححه، محمد حسين العرب، ط: دار الفكر – بيروت (١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م).

- زهرة التفاسير، للعلامة محمد أبو زهرة، طبعة: دار الفكر العربي – القاهرة (١٤١٦ه- ١٩٧٤ م).

- السراج المنير، المؤلف محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ط: دار الكتب العلمية – بيروت – بدون تاريخ.

- سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد – أبو عبد الله – القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط: دار الفكر – بيروت – بدون تاريخ.

- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني، ط: دار الكتاب العربي – بيروت – بدون تاريخ.

- سنن البيهقي الكبرى، لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط: مكتبة الباز – مكة المكرمة – (١٤١٤ هـ).

- سنن النسائي لأحمد بن شعيب – أبو عبد الرحمن – النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غده، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب – الثانية (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦).

- صحيح ابن حبان بترتيب بن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد – أبو حاتم – التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة –

بيروت – الثانية (١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م).
– صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل – أبو عبد الله – البخاري الجعفي، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا ـــ أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة جامعة دمشق – دار ابن كثير – اليمانة – بيروت – الثالثة (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م).
– الصحيح المسند من أسباب النزول، لمُقبلِ بنِ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بن قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيّ (المتوفى: ١٤٢٢ هـ) ط: مكتبة ابن تيمية – القاهرة (الرابعة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م).
– صحيح مسلم، لأبي الحسين بن الحجاج بن مسلم القيشري النيسابوري، ط: دار الجيل – بيروت – بدون تاريخ.
– صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، ط: دار الصابوني – الأولى (١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م).
– غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ)، المحقق: أحمد صقر، ط: دار الكتب العلمية – (١٣٩٨ هـ– ١٩٧٨ م).
– فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط: دار المعرفة – بيروت (١٣٧٩).
– فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، طبعة: دار الحديث، القاهرة – الأولى (١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م).
– في ظلال القرآن الكريم، لسيد قطب، طبعة: دار الشروق، الحادية والثلاثون – بدون تاريخ.
– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم جار محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، شرحه وضبطه

وراجعه: يوسف الحماوي مكتبة مصر بدون تاريخ.
– لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (٧٢٥ هـ) ط١ دار الفكر – بيروت – بدون تاريخ.
– لباب النقول في أسباب النزول، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفي: ٩١١ هـ)، ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بدون تاريخ.
– محاسن التأويل، لجمال الدين محمد بن سعيد بن قاسم القاسمي ط: دار الفكر – بيروت، الثانية ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨).
– المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية بن مكرم المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية، الأولى – (١٤٢٢ هـ).
– مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للإمام – الجليل – أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ط: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي– بدون تاريخ.
– المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله – أبو عبد الله – الحاكم النيسابوري ت (٤٠٥ هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى (١٤١١ هـ – ١٩٩٩ م).
– مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي، (ت ٢١٠ – ٣٠٧)، المحقق: إرشاد الحق الأثري، ط: دار القبلة – جدة، الطبعة: الأولى سنة (١٤٠٨ هـ).
– مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ط: مؤسسة الرسالة – الثانية (١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م).
– المعجم الأوسط، للطبراني. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد بن

عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ط: دار الحرمين للنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

– مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسين ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي ت (٦٠٤ هـ) ط: دار الكتب العلمية – بيروت الأولى (١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م).

– المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفي: ٥٠٢ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت – الأولى (١٤١٢ هـ).

– مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفي: ١٣٦٧ هـ)، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.

– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب الإسلامية – القاهرة – الثانية (١٤١٣ هـ).

– النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ت (٤٥٠ هـ) راجعه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ط: دار الكتب العلمية – بيروت لبنان بدون تاريخ.

– الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفي: ٤٣٧ هـ) ط: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الأولى (١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م).

faharas almasadir walmarajie

- al'iitqan fi eulum alqurani, lieabd alrahman bin 'abi bakrin, jalal aldiyn alsuyutii (almutawafi: 911 ha), tahqiqu: saeid almanduba, ta: dar alfikri- bayrut (1416 hi).
- 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkitaab alkarim, lilqadi muhamad bin muhamad bin mustafaa aleimadii alhanafii t (982 ha), khrraj 'ahadithah waealaq ealayh wadabtah wawadae faharisah alshaykha: muhamad subhi halaq, ta: dar alfikr - bayrut - al'uwlaa (1421 hi - 2000 mi).
- al'asas fi altafsiri, lisaeid hwwa (almutawafiy 1409 hu), ta: dar alsalam - alqahiratu. alsaadisati, (1424 ha).
- 'asbab alnuzuli, li'abi alhasan ealii bin 'ahmad bin muhamad bin ealiin alwahidii, alnaysaburi, alshaafieii (almutawafi: 468 ha), ta: muasasat alhalabi washarakah lilnashr waltawziei, (sanat 1388 hi - 1968mi).
- 'asrar tartib alqurani, lieabd alrahman bin 'abi bakrin, jalal aldiyn alsuyutii (almutawafi: 911 hu), ta: dar alfadilat lilnashr waltawzie, bidun tabeatin, wabidun tarikhi.
- 'aysar altafasir likalam alealii alqadiri, li'abi bakr jabir aljazayirii, ta: dar alsunat liltawzie - althaania (1419 ha).
- albahr almuhit fi altafsiri, limuhamad bin yusif alshahir bi'abi hayaan al'andalusii algharnatii t (754hi) ta: dar alfikr - bayrut (1412 hi - 199 mi).
- altibyan fi tafsir gharayb alqurani, li'ahmad bin muhamad bin eimad aldiyn bin eulay, 'abu aleabaasi, shihab aldiyni, abn alhayim (almutawafi: 815 ha) tahqiqu: du. fathi 'anwar aldaabuli, ta: dar alsahabat lilturath bitanta - alqahirat - al'uwlaa (1992).
- altahrir waltanwiru, lisamahat al'ustadh alealaamat alshaykha: muhamad altaahir bin eashur ta: aldaar altuwnisiat lilnashr waltawzie - bidun tabeat wabidun tarikhi. - tafsir alquran aleazimi, li'abi alfida' 'iismaeil bin kathirin, ta: maktabat dar alturath alearabii - alqahirat bidun tarikhi.
- tafsir alquran aleazim msndan 'iilaa rasul allah walsahabat waltaabieina, li'abi hatim eabd alrahman bin 'iidris alraazi t (327 ha), tahqiqu: 'asead altiyb, alnaashir: maktabat nizar mustafaa albaz - almamlakat alearabiat alsaeudiata, altabeata: althaalithat - (1419 ha).
- tafsir alkarim alrahman fi tafsir kalam almanan lilealamat alshaykh eabd alrahman bin nasir alsaedi, ta: (376 ha) tahqiqu: muhamad zahri alnajaar, ta: dar alkutub - bayrut ta: althaania (1414

hi - 1993 mi).
- tafsir almaraghi, li'ahmad mustafaa almaraghi, ta: sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabi alhalabii wa'awladuh bimasri, altabeati: al'uwlaa (1365 hi - 1946 mi). - altafsir almunir fi aleaqidat walsharieat walminhaji, talifu: t wahbat alzuhaylii .
- tafsir gharib alqurani, likamilat bint muhamad bin hasim bin eali al jiham alkawari, ta: dar bin hazm - al'uwlaa (2008 mi).
- jamie albayan ean tawil ayat alqurani, li'abi jaefar bin jarir altabri, dar alfikr - bayrut, dabtuh wawathiqahu: sidqi jamil aleatar, tabeat dar alfikr - bayrut (1415 ha, 1995 mi).
- aljamie alsahih lisunan altirmidhi, limuhamad bin eisaa - 'abu eisaa - altirmidhiu alsilmi, tahqiqu: 'ahmad muhamad shakir wakhrin, sharikat maktabat wamatbaeat albabi alhalabii - misr altabeatu: althaania (1395 hi - 1975 mi).
- aljamie li'ahkam alqurani, li'abi eabd allah muhamad bin 'ahmad al'ansarii alqurtubii t (671 ha) qddam lah fadilat alshaykh: muhi aldiyn limis, dabtah wamurajaeatan ealaa al'usuli: sidqi jamil aleatar, khrraj 'ahadithah alshaykh earafat aleashaa, ta: dar alfikr - bayrut - al'uwlaa (1419 ha- 1999ma).
- ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani, lilealamat 'abi alfadl shihab aldiyn alsayid mahmud alalusi albaghdadii t (1270 ha) qara'ah wasahhaha, muhamad husayn alearabi, ta: dar alfikr - bayrut (1417 hi - 1997 mi).
- zahrat altafasiri, lilealaamat muhamad 'abu zahrata, tabeatun: dar alfikr alearabii - alqahira (1416h- 1974 mi).
- alsiraaj almunir, almualif muhamad bin 'ahmad alkhatib alshirbinii ta: dar alkutub aleilmiat - bayrut - bidun tarikhi.
- sunan aibn majat limuhamad bin yazid - 'abu eabd allah - alqazwini, tahqiqu: muhamad fuaad eabd albaqi ta: dar alfikr - bayrut - bidun tarikhi.
- sunan 'abi dawud, lisulayman bin al'asheat alsajistani, ta: dar alkitaab alearabii - bayrut - bidun tarikhi.
- sunan albayhaqii alkubraa, li'ahmad bin alhusayn albayhaqi, tahqiqu: muhamad eabd alqadir eataa, ta: maktabat albaz - makat almukaramat - (1414 hi).
- sunan alnasayiyi li'ahmad bin shueayb - 'abu eabd alrahman - alnasayiyi, tahqiqu: eabd alfataah 'abu ghadahu, ta: maktab almatbueat al'iislamiati, halab - althaania (1406 hi - 1986).
- sahih aibn hibaan bitartib bin bilban, limuhamad bin hibaan bin 'ahmad - 'abu hatim - altamimiu albasti, tahqiqu: shueayb al'arnawuwta, ta: muasasat alrisalat - bayrut - althaania (1414 hi -

1993 mi).
- sahih albukhari, limuhamad bin 'iismaeil - 'abu eabd allah - albukhariu aljaefi, tahqiqu: du/ mustafaa dib albugha 'ustadh alhadith waeulumih fi kuliyat alsharieat jamieat dimashq - dar abn kathir - alyamanat - bayrut - althaalitha (1407 hi - 1987 mi).
- alsahih almusanad min 'asbab alnuzuli, lmuqbl bn hadi bn muqbil bin qayidat alhamdany alwadei (almutawafaa: 1422 ha) ta: maktabat aibn taymiat - alqahira (alraabieat 1408 hi - 1987 mi).
- sahih muslamun, li'abi alhusayn bin alhajaaj bin muslim alqaysharii alniysaburi, tu: dar aljil - bayrut - bidun tarikhi.
- safwat altafasiri, limuhamad ealiin alsaabuni, ta: dar alsaabuni - al'uwlaa (1417 hi - 1997 mi).
- ghurayb alqurani, li'abi muhamad eabd allh bin muslim bin qutaybat aldiynuriu (t: 276 ha), almuhaqiqi: 'ahmad saqra, ta: dar alkutub aleilmiat - (1398 ha- 1978 mi).
- fath albari sharh sahih albukhari, li'ahmad bin ealiin bin hajar 'abu alfadl aleasqalanii alshaafieii, ta: dar almaerifat - bayrut (1379).
- fath alqadir aljamie bayn faniyi alriwayat waldirayat min eilm altafsiri, limuhamad bn ealiin alshuwkani, tabeatun: dar alhadithi, alqahirat - al'uwlaa (1413 hi - 1993 mi).
- fi zilal alquran alkarimi, lisayid qutb, tabeatin: dar alshuruqi, alhadiat walthalathun - bidun tarikhi.
- alkashaaf ean haqayiq altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawili, talif 'abi alqasim jar mahmud bin eumar alzumakhashari alkhawarizami, sharhuh wadabtuh warajaeaha: yusif alhamaawi maktabat misr bidun tarikhi.
- libab altaawil fi maeani altanzili, lieala' aldiyn ealii bin muhamad bin 'iibrahim albaghdadii alshahir balkhazin (725 ha) ta1 dar alfikr - bayrut - bidun tarikhi.
- libab alnuqul fi 'asbab alnuzuli, lieabd alrahman bin 'abi bakrin, jalal aldiyn alsuyutii (almutawafi: 911 hi), dabtih wasahahihi: al'ustadh 'ahmad eabd alshaafi, ta: dar alkutub aleilmiati, bayrut - lubnan, bidun tarikhi.
- mahasin altaawili, lijamal aldiyn muhamad bin saeid bin qasim alqasimii ta: dar alfikr - bayrut, althaaniat 1398 hi - 1978).
- almuharir alwajiz fi tafsir kitab allah aleaziza, lieabd alhaqi bin ghalib bin eabd alrahman bin eatiat bin makram almuharibi, almuhaqiqa: eabd alsalam eabd alshaafi muhamad, ta: dar alkutub aleilmiati, al'uwlaa - (1422 hi).
- madarik altanzil wahaqayiq altaawili, lil'iimam - aljalil - 'abi albarakat eabd allh bin 'ahmad bin mahmud alnasfii ta: dar 'iihya'

alkutub alearabiat - faysal eisaa albabi alhalbi- bidun tarikhi.
- almustadrik ealaa alsahihayni, limuhamad bin eabd allah - 'abu eabd allah - alhakim alnaysaburi t (405 ha) tahqiqu: mustafaa eabd alqadir eataa, ta: dar alkutub aleilmiat - bayrut - al'uwlaa (1411 hi - 1999 mi).
- musnad 'abi yaelaa, li'ahmad bn ealii bn almuthanaa 'abu yaelaa almusli, (t 210 - 307), almuhaqiqi: 'iirshad alhaqi al'athari, ta: dar alqiblat - jidat, altabeata: al'uwlaa sana (1408 ha).
- musnad al'iimam 'ahmad bin hanbal, tahqiqu: shueayb al'arnawuwt ta: muasasat alrisalat - althaania (1420 hi - 1999 mi).
- almuejam al'awsata, liltabarani. tahqiqu: tariq bin eawad allh bin muhamad bin eabd almuhsin bin 'iibrahim alhusaynii ta: dar alharamayn lilnashri, alqahirati, bidun tarikhi.
- mafatih alghib, lil'iimam fakhr aldiyn muhamad bin eumar bin alhusayn bin alhusayn bin ealiin altamimi albakrii alraazii alshaafieii t (604 ha) ta: dar alkutub aleilmiat - bayrut al'uwlaa (1412 hi - 2000 mi).
- almufradat fi gharayb alqurani, li'abi alqasim alhusayn bin muhamad almaeruf bialraaghib al'asfahanii (almutawafi: 502 hu), tahqiqu: safwan eadnan aldaawudi, ta: dar alqalami, aldaar alshaamiat - dimashq bayrut - al'uwlaa (1412 ha).
- manahil aleirfan fi eulum alqurani, limuhamad eabd aleazim alzzurqany (almutwfi: 1367 ha), ta: matbaeat eisaa albabi alhalabii washarakah - altabeat althaalithatu, bidun tarikhi.
- nuzam aldarar fi tanasub alayat walsuwr, lil'iimam burhan aldiyn 'abi alhasan 'iibrahim bin eumar albaqaeii, dar alkutub al'iislamiat - alqahirat - althaania (1413 ha).
- alnukt waleuyunu, li'abi alhasan eali bin muhamad bin habib almawardii albasarii t (450 ha) rajaeaha: alsayid bin eabd almaqsud bin eabd alrahim ta: dar alkutub aleilmiat - bayrut lubnan bidun tarikhi.
- alhidayat 'iilaa bulugh alnihayat fi eilm maeani alquran watafsirihi, wa'ahkamihi, wajamal min funun eulumihi, li'abi muhamad makiy bin 'abi talib hammwsh bin muhamad bin mukhtar alqaysii alqayrawanii thuma al'andalusi alqurtubii almalikii (almutawfi: 437 ha) ta: majmueat buhuth alkitaab walsunat - kuliyat alsharieat waldirasat al'iislamiat - jamieat alshaariqati, al'uwlaa (1429 hi - 2008 mi).